روايات
ALHAN
ألحان

الدكتورة الفجرية

١٥٧

www.7akawyna.com

مرمورية

ثمن النسخة							
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

وقرأ بصوت عالٍ :

- دون إدراك تبادل الشعور في العلاج النفسي .

سألها ، وقد صُدم :

- هل أنت حقاً جادة ؟ كيف تعتقدين في هذه المعلومات التي أعتبرها خرافات ؟

- إني جادة جداً ، وهذه المعلومات ليست خرافة ، ولا دجل ، ولا خزعبلات كما تعتقد يا " جين " .

قال :

- كيف تستطيع فتاة ذكية ، ومثقفة مثلك أن تتجنى على نفسها بمثل هذه الأمور ؟

قالت :

دعني أشرح لك .

شخصيات الرواية

"تانيا زيدزياك": دكتورة في علم النفس

السيدة "دولور": عرافة

"چين راندال": عالم في الأحياء المائية

الغلاف الأمامي

كثيراً ما نردد جميعنا كلمات: الحظ، القسمة والنصيب، المقدر والمكتوب..

لكن تُرى ما رأي كل منا في العرافة، وتبادل المشاعر، والتنجيم؟

بتصفحكما هذه الرواية -عزيزي القارئ، وعزيزتي القارئة- ستجدان ما يشبع رغبتكما في الحصول على مثل هذه المعلومات. كما تناولت أيضاً هذه القصة الجانب العاطفي في أقوى، وأصدق صورة.

يستهل الكاتب روايته هذه بقوله:

إلى السيدة "دينيس" ابنتي الروحية، وإلى "بيجي"، و "براد" عشاق جزيرة "باليوا".

www.zahrawyna.com

الفصل الأول

دخلت "تانيا زيد زياك" مسكنها الصغير الواقع في الطابق الأول. ثم ألقت بكمية من الكتب، وبحقيبتها الجلد. ثم بعد أن تخلصت هكذا منها أسرعت إلى احتضان قطيها: "ين" ذات رداء "إزابيل" الرقيق و"يانج" قط "انجورا" أسود كالظلام الدامس. وكانا كلاهما قطين ضالين، كانت الآنسة "زيد زياك" قد أوتهما.

اتخذ كل قط مكانه على إحدى كتفيها، وأخذ يقر..... اتجهت الفتاة بعد ذلك إلى التقويم المعلق على الحائط، وشطبت يوما آخر: الجمعة٢٣ إبريل.

أعلنت لزملائها:

- أكثر من سبعة أسابيع. آه لو قبلت لجنة التحكيم رسالتي، ولو أجازت مناقشتي!

لا . سوف ترسب ! لن تسمح لنفسها بذلك.

لقد ضحى والداها بالكثير؛ ليمنحاها فرصة النجاح.

ووجب عليها الآن أن تثبت لهما أن تضحياتهما لم تذهب هباء، وأن

الأمل مازال قائماً في هذا العالم البائس.

ثم استطردت بصوت عالٍ وكان صوت القطين يطن في أذنيها:

- ليس لي الحق في الرسوب.

كانت "تانيا" تفهم تماماً أن قطيها لا يفهمان، لكنها مع ذلك كانت تشعر بالارتياح، وهي تكلمهما. تنهدت "تانيا" بعمق كانت كتبها تنتظرها على المائدة. لكن كم كان الطقس جميلاً في الخارج!

كانت معنويات الفتاة هابطة تماماً مثل رصيدها في البنك. ثماني سنوات من الدراسة في الجامعة في "كاليفورنيا" . وكانت الشمس التي تتخلل النافذة الزجاجية تبدو كأنها تدعوها إلى الخروج إلى الشرفة.

في الخارج كانت أمواج المحيط الهادئة تلاطف بلا انقطاع رمال جزيرة "بالبوا" الذهبية. وكان خريرها المنتظم يناديها بإلحاح.

وضعت "تانيا" قطيها على الأرض، أخرجت لباس البحر، وبدأت تخلع ملابسها.... مع كل، إن ساعة استرخاء في الشمس سوف لا تسيء إليها، ولا تؤثر على فرصتها في التحصيل.

بعد بضع دقائق فتحت الفتاة النافذة، ووضعت أصبع قدمها الرقيق على أسمنت الشرفة الساخن. ولم يكن يستر جسمها الرقيق إلا بعض المثلثات المصنوعة من نسيج أرجواني.... لم يسبق لها أبداً أن سمحت لنفسها بالظهور على الشاطئ بمثل هذا الرداء، لكن هنا الأمر يختلف، لقد تحررت لأن المكان معزول، ويهيئ لها هذه الفرصة.

كانت "تانيا" قد بلغت السادسة والعشرين من عمرها متمتعة بقوام رقيق ممشوق، فيه كل الشروط المتوفرة في أجمل عارضة أزياء.

استراحت "تانيا" في مقعد مريح، وفتحت جريدتها. وبينما هي تتصفحها، كانت من حين إلى آخر تلقي نظرة على القوارب التي كانت تعرفها كلها تقريباً. إذ إن وجودها الصامت كان بالنسبة لها بمثابة صداقة.

تخلت الفتاة لحظة عن جريدتها، وأغلقت عينيها لكي تنعم بملاطفة أشعة الشمس لبشرتها، عن بعد، كانت تسمع ضوضاء حركة المرور في

"لوس أنجيلوس". وكانت من حين إلى آخر، صرخة "تورس" تجعلها ترفع جفناً؛ لتشاهده وهو يطير بجلال في السماء الزرقاء الصافية.

كانت الصفحة الأولى من الجريدة تتناول موضوع "سرقة طفل". تنهدت "تانيا" باسى عند قراءة هذا الخبر المؤسف الذي يعبر عما يدور في العالم من جنون، وفضلت الانتقال إلى صفحة "حظك اليوم"؛ لتقرأ طالعها. وكان برجها - وهو الجوزاء - يعلن لها: "انتبه. اليوم يدخل الحب إلى حياتك. مهم جداً الاهتمام بما لك".

أخذت الفتاة تضحك إذ لم يكن لديها لا الوقت، ولا المال اللازم للحب. كانت دراستها تستحوذ على كل هذا، وأيضا على كل طاقاتها. فعاودت النظر إلى المحيط المتلألئ تحت أشعة الشمس.

صاحت الفتاة متعجبة وهي تنتقل إلى الظل لكي تتمكن من المشاهدة بصورة أوضح:

- يا إلهي!

إذ كانت السفينة الكبيرة ذات الشراع الأبيض المشدود تخترق المحيط متجهة إلى الميناء. أسرعت "تانيا" بإحضار نظارتها المزدوجة المكبرة، واستندت إلى درابزين الشرفة وكان من الحديد المشغول.

قطعت السفينة مسافة خمسة عشر متراً، وكانت الأمواج تلاطف مقدمتها. وكان هناك على الكوبري رجلان منهمكان في عملهما بالقرب من كبينة من خشب "الأكاجو" وكان ثالثهما ممسكاً بالدفة.

اقتربت "تانيا" بعد ذلك من مقدمة السفينة؛ لكي تقرأ اسم هذا المبنى المهيب!

"الفكر الحر"

ابتسمت الفتاة، وهي تردد هذا الاسم بصوت عال.

حقاً، شعرت الفتاة أنها - بعد ثماني سنوات من العمل المتواصل في الدراسة- في أمس الحاجة إلى هذا الاسم الذي قرأته لتوها.

وأثناء مواصلة "تانيا" مراقبتها للباخرة لمحت زوج "تنيس" أبيض. صعدت ببطء، واكتشفت ساقين ذواتي عضلات قوية، وركبتين، وأخيراً

استقر نظرها على "شورت"... لن تسمح الفتاة لنفسها أبداً بالإفصاح لأي شخص كان عما أوجدته فيها هذه الرؤية من أفكار مفرطة.

خجلت الفتاة لذلك في بدء الأمر، لكن بعد كل شيء، ليس هناك من سيعلم بعدم تحفظها. قالت مازحة:

- لو كان الحب - حقاً - فكرفي أن يغزو حياتي، فلا أجد غضاضة في أن يأتي هذا المتنزه الساحر؛ ليستقر أسفل شرفتي....

وفيما هي ترفع منظارها انقطعت أنفاسها، وفارقت الابتسامة شفتيها.

متشبهاً بـ "أتلاس" رافعاً العالم، كان الشاب يرفع ذراعيه في وضع يُظهر عضلات كتفيه الرائعة. كانت خصلات كستنائية تلاطفها نسمة المحيط تحيط بوجهه المربع. أما فمه فكان يظهر ابتسامة عريضة تكشف عن أسنان ناصعة البياض.

كان الشاب يضحك، كانت "تانيا" تشعر وكأنها تسمع ضحكاته ترن في أذنيها وفي رأسها. هو أيضاً كان ممسكا بيديه نظارة مكبرة تحجب باقي وجهه.

كان ينظر إليها.

عجزت "تانيا" عن الحركة... لقد رأت إحدى اليدين الكبيرتين تترك المنظار؛ لترتفع إلى الشفتين الممتلئتين، وتأخذ منها قبلة قد أرسلها إليها بنفخة.

اقشعرت الفتاة لهذه الحركة؛ لأنها كانت تتسم بالغزل. رفعت نظارتها، وعادت إلى مسكنها يلازمها إحساس بأن كرامتها قد جُرحت.

كان قلبها يخفق بشدة عندما أعادت غلق الباب الزجاجي بسرعة، وشدت الستارة. لم تكن متحاملة على هذا المُشاهد البريء، كما أنها كانت لا تبغي إلا أن تعلم ضحيتها ذلك.

سوف يلقنها هذا درساً في ألا تهمل دراستها، ولو لثانية واحدة.

خفضت "تانيا" عينيها على جسدها الذي كان لا يكسوه إلا المايوه.

وإن كانت "تانيا" تحب مشاهدة البواخر، وهي تتحرك في الخليج إلا

أنها لم ترتد أبدا نادي البحرية، ولم تر أحد الرجال المكلفين بتشغيل سفن مرموقة مثل: "الفكر الحر" إذن لن تجد فرصة لرؤية هذا المجهول العجيب مرة أخرى.

ومن العجيب أن هذه المشاهدة عوضاً عن أن تهبها طمانينة قد أوجدت في قلبها شبه ندم.

إن العودة إلى التفكير في هذا المجهول الجميل أثارت ارتباك "تانيا"؛ إذ بدأت تحسده على إمكانه التجول دون أي عائق على المحيط اللانهائي، بعيداً عن القيود والمسؤوليات متمتعاً بالضحك، واللامبالاة.

ثم طردت الفتاة هذه الفكرة المزعجة من فكرها بعد أن لامت نفسها عليها. ذهبت "تانيا" لأخذ حمام، وغسل شعرها، ثم جلست أمام المراة لكي تتزين، وضعت بعد ذلك كريم أساس، ثم خططت عينيها بالقلم، وأعادت رسم حاجبيها، وأطالت أهدابها بالماسكرا واهبة بذلك إلى نظرتها عمقاً غريباً. وبعد أن وضعت قليلاً من اللون الوردي على وجنتيها، طلت شفتيها باللون الأحمر، جففت شعرها الذي توج وجهها بخصلات حريرية. وكانت خصلات ثقيلة تنزل على جبهتها وتداعب حاجبيها.

ارتدت "چيبا" طويلا بلون أحمر قان، وبلوزة ذات زهور زرقاء كبيرة على قاعدة سوداء وكانت طويلة تنزل حتى ردفيها والتي ضمتها على وسطها بإشاربين من الحرير: أحدهما وردي، والآخر أزرق.

لم يكتمل مظهرها إلا بعد إضافة بعض المجوهرات: عقد لؤلؤ من عدة أدوار، خواتم، و أساور. وقفت الفتاة بعد ذلك تنظر إلى المراة التي عكست لها صورة غجرية مفرطة الجمال، فانطلقت في الضحك غير أنها سرعان ما استقرت لأن الوقت كان يمر.

إن السيدة "دولور" لاتقبل تاخيرها عن العمل.

اخترقت "تانيا" الجزيرة بسرعة بسيارتها الصغيرة.

كانت جزيرة "باليوا" صغيرة، ومنازلها - وكان أغلبها على الطراز الفيكتوري - متلاصقة الواحد إلى جانب الآخر وسط حدائق ممتلئة

بالزهور ذات الروائح العطرة.

إن الناس في هذا المكان يعرفون بعضهم بعضا، وكان من النادر أن يكون أحد الوجوه مجهولاً للفتاة؛ لأن أغلبية السكان من أسر مستقرة في الجزيرة منذزمن بعيد.

كان عدد سكان الجزيرة يتزايد في الصيف بمجيء السياح، وفي الشتاء بالطلبة الذين ياتون للدراسة في جامعة "كاليفورنيا".

كانت السيدة "دولور" تسكن في أحد الشوارع الصغيرة الهادئة. ركنت "تانيا" سيارتها، ولاطفتها، وكانت تداعبها وتسميها: "فيكتورين" كانت "فيكتورين" في حاجة ماسة إلى إصلاح فراملها وإلى طلائها، وايضاً إلى عجلات جديدة ،غير أن "تانيا" لا تستطيع إلا منحها قليلاً من البنزين.

بعد فترة قصيرة عندما عادت الفتاة إلى سيارتها قالت:

- أرأيت؟ انا لم اتاخر. لم اتغيب عنك طويلاً.

سعلت "فيكتورين" قليلاً، ثم قبلت معاودة السير. ومع ذلك عندما وصلت "تانيا" إلى مكان التوقف رفضت السيارة، -وبإصرار- أن تفرمل. القت "تانيا" نظرة خوف إلى مفترق الطرق واطمانت انه خال من السيارات.

وبما أن الطريق كان خالياً أمامها فما كان عليها إذن إلا أن ترفع قدمها، وأن تنتظر حتى تتكرم "فيكتورين"، وتتوقف من تلقاء نفسها.

فجاة مرت الأحداث بسرعة، وجدت الفتاة نفسها في مواجهة كشافات سيارة، وقبل أن تستطيع القيام باي محاولة ، كان التصادم قد تم وسط احتكاك مكابح، وتحطيم زجاج.

لحسن الحظ كانت "تانيا" ممسوكة بحزامها الواقي.

وسادصمت رهيب: كانت يدا الفتاة خلاله متقلصتين على عجلة القيادة، اخذت تنظر- وهي لا تدري ما حدث- إلى إطارنافذة السيارة المحطم. رفعت الفتاة بعد لحظات يديها إلى جنبيها: كان الدم يسيل غير انه لا يتعدى خدشا بسيطا.

ولما فُتح الباب، انتفضت الفتاة. كان نور السيارة الداخلي يعمل بالرغم من الحادثة، فاكتشفت وجه الشاب الذي كان يميل عليها.

كانت عينان سوداوان تنظران إليها في قلق. قال متأثراً:

- هل أنت بخير؟

تمتمت "تانيا"!:

- أعتقد. وأنت؟

- أنا بخير. دعيني أساعدك على الخروج من هنا. كانت يدا الفتاة ترتجفان مثل الأوراق وهي تحل حزامها. لقد تيقنت أنها موشكة على نوبة عصبية، ومع ذلك لقد تبدد هذاالإحساس عندما ضغط الشاب بأصابعه على يديها. إذ وجدت الأمان في هذه اللمسة، وكان تيارا مغناطيسيا قد سرى بينهما.

لم يسبق لـ"تانيا" اجتياز مثل هذه التجربة. لقد شعرت بإحساس غريب عندما ضغط الشاب على يديها جعلها تفهم أنه - هو أيضاً - يبادلها نفس الإحساس.

وفور خروجها من السيارة أسرعت بإيقاف الموتور.. غير أنها - وهي تترنح - اضطرت إلى الاستناد إلى "فيكتورين" المسكينة.

تجمع بعض أفراد المنطقة، وقد كانوا أبلغوا الشرطة بالحادث. وقفت "تانيا" تفحص وجود المتفرجين واحداً واحداً دون أن تجد الشجاعة لمواجهة المجهول. كان فارعاً، ساحراً وكانت بذلته الداكنة ذات التفصيل الراقي تبرز عرض كتفيه.

قال هذا المجهول مستفسراً:

- هل أنت متأكدة أنك بخير؟

أجابت الفتاة مؤكدة:

- نعم. غاية ما في الأمر أني مهزوزة من هول هذه المفاجأة.

فجأة تذكرت طالعها: "الحب يطرق بابها". نظرت "تانيا" ثانية إلى هذا المجهول، تقطب حاجبها رافضة تصديق أن هذا اللقاء غير المدبر قد يكون وليد القدر.

صاح وهو يقترب منها:

- لكنك تدمين.

- أمر بسيط. لقد ارتطمت بالباب.

قال وهو يحوطها بذراع حامية نحو مقعدها:

- الأفضل أن تظلي جالسة.

أجابته:

- لا داعي. أؤكد لك أني على ما يرام.

مرة أخرى ابتعدت عنه؛ لأنها كانت تتأثر من اقترابه منها. إن أبسط ملامسة لها منه كانت تؤثر عليها تأثيرقوة كهربية رقيقة.

تحاملت "تانيا" عليه من جراء رد الفعل هذا، وما لبثت أن حولت ضيقها ضده.

لقد تضاعفت عصبيتها عندما قرأت في عينيه- بالإضافة إلى القلق والحماية- شعاع تسلية.

مسح الشاب بنظره شعرها، حليها، هندامها ثم استقر أخيراً على وجهها.

سألته:

- إلى ماذا تنظر هكذا؟

سلك صوته قبل أن يجيب:

- ماذا تفعلين بنفسك؟ لماذا تتنكرين هكذا؟

وهنا كان للهجته الساخرة أثر على أعصابها.

التهبت الفتاة، وأجابته:

- كيف ذلك، أتُسمي ذلك تخفياً؟ إنها ملابس. هل ترى فيها شيئاً يدعو للدهشة؟

لم تدهش -بالمرة -"تانيا" في أعماقها لتعليق هذا الرجل على مظهرها. أما عن هندامه فقد كان كل شيء فيه يدل على الصرامة: بذلة بلون داكن، قميص أبيض، "وكرافتة" رزينة علماً بانه لم يكن متقدماً في السن؛ إذ كان لا يتعدى الثلاثين من عمره. غير أن هناك شيئاً أكيدا وهو

انه ليس هذا النوع من الناس الذين تقدرهم "تانيا".

ثم عاودت الفتاة فكرة القدر. فتفحصته ثانية، واضطرت أن تعترف بانه إذا كان يبدو على وجهه شيء من الاستهجان فعلى الأقل كان يتمتع بالحساسية، والجاذبية.

لا، مهما كلفها الأمر، إنها كانت لا ترغب في أن تكون لها علاقة مع شخص ذي افق ضيق بهذه الصورة. لايهم أي رجل قد يكون مفضلاً بدلاً من هذا الشخص الذي لمحته في فترة بعد الظهيرة على مركبها.

فجاة اردف هذا المجهول.

- ما الذي دفعك على الفرملة.. بهذه الطريقة؟

كان في إمكانك قتلنا!

أجابت الفتاة:

- كان في إمكاني. لكن ماذا كنت تفعل بهذه السرعة التي كنت تقود بها؟

نظر إلى سيارته، وقال:

- إن سيارتي جديدة. لقد استلمتها قريباً وهاهي الآن محتاجة إلى إصلاح، وإلى طلاء. هل كنت تقومين بسباق سيارات أم ماذا؟

نظرت "تانيا" بدورها إلى السيارة موضع المعاتبة. إنها سيارة "BMW" كانت في الواقع مقدمتها قد اضيرت وخدوش طويلة حمراء كانت بادية على طلائها الأسود من الجانب الأيسر.

قالت:

- إنها ليست غلطتي. ومم تشكو؟ هل رايت سيارتي؟

وكانت "تانيا" قد تحققت من أن "فيكتورين" المسكينة لن تعمل بعد الآن بلاشك.

لقد تحطم قلبها عندما رأت السيارة الحمراء الصغيرة في حال يُرثى له هكذا.

أنّت الفتاة:

- آه، لا!

حينئذ أبدى هذا الشخص المجهول قلقه:

- ماذا يحدث؟ هل ستصابين بالإغماء؟

-لا.

قالت هذا، وتخلصت من الذراع القوية التي أمسكت بذراعها.

- انظر ماذا فعلت بـ "فيكتورين"؟

- "فيكتورين"؟!

- سيارتي!

- في النهاية إنه انت التي لم تحترمي التوقف.

افصحت "تانيا":

- إن الفرامل قد أفلتت. وانت كنت تقود -على الأقل- بسرعة مائة واربعين كيلومتراً في الساعة.

- إنه خطأ، وانت تعلمين ذلك. لا تحاولي أن تحمليني مسؤولية هذه الحادثة.

بعد قليل، وضع وصول الشرطة نهاية لهذا الجدال.

سأل أحدهم سائق الـ"BMW":

- اسمك؟

أجاب وهو يخرج أوراقاً:

- "چين راندال". إن سيارتي كانت جديدة القى رجال الشرطة نظرة إشفاق على السيارة الـ BMW. في هذه اللحظة أيقنت "تانيا" أنها إن لم تتدخل بسرعة، سترجح كفة الميزان في صالح "چين".

فاردفت فوراً:

-إني اعلم لماذا كنت تقود سيارتك مثل المجنون، إنك كنت تجرب لعبتك الجديدة؛ لأنك لم تكن تعرف قدر سيارتك حتى تهتم بها، وأن تكون عندك مودة نحوها.

قال "چين راندال" مندهشاً:

- مودة؟! نحو سيارة؟

استطردت "تانيا":

www.7arawyna.com

- نعم، نحو سيارة. إني أمتلك "فيكتورين" منذ ثماني سنوات. كنت دائماً أعتبرها صديقتي، تقريباً أختي.

شبكت الفتاة ذراعيها بعصبية على صدرها، ثم ألقت نظرة أسى نحو رجال الشرطة، وقالت:

- كان يقود بسرعة فائقة.

- لحظة.

أخذ "چين" يسرد وجهة نظره بخصوص الحادثة وكانت "تانيا" توافق داخلياً على أنه يقوم برد معقول.

سألها الشرطي:

- اسمك؟

- "تانيا زيدزياك".

تمتم "چين" من خلفها:

- إليك كل أمانيك.

كم دهشت الفتاة إذ كانت تتوقع كل شيء من هذا الشخص الصارم عدا هذا.

قالت:

- ليست لدي النية أن أقول لك ما هو رأيي في أولئك الذين يسمحون لأنفسهم بالتفوه بتعليق طفولي عند سماع اسمي!

واستمر الاستجواب مصحوباً بعبارات ساخرة بقدر ما هي عديمة المجاملة من جانب الشخص المجهول.

- أين تعملين؟

- إنني أعمل لصالح السيدة "دولور".

قال "چين":

- إذا كانت "دولور" سيدة إذن فإنك...

صاحت "تانيا":

- كيف تجرؤ! إن السيدة "دولور شريفة، ومحترمة. كما أن لديها بصيرة تفوق العادة.

كان "چين" خلال فترة الصمت الذي تلا كلمتها يلقي إلى البوهيمية المزيفة نظرة مهمومة.

ثم تمتم:

-عرافة، بصيرة، شريفة، محترمة. إني لا أرى الفرق حقاً.

قالت بعد أن سيطرت على نفسها لأنها كانت تريد أن تصفعه:

- هل لديك علم بضيق إدراكك فقط؟

وفي ضوء الفوانيس الخافت، كانت تلمع عينا "چين". وبالرغم من وجهه كان يبدو غيرمتأثر إلا أن "تانيا" لمحته يضحك وأكثر من ذلك كان يسخر منها. فجأة اعتراها الصداع النصفي، وضعت يدها على رأسها، ثم دارت حول نفسها، ثم في اللحظة التالية كانت ممددة على الأرض.

دفاعاً عن موقفها هذا قالت:

-لا. لا شيء إنها ليست إغماءة. غاية ما في الأمر أنه دوار لحق برأسي لأني لم أتناول العشاء بعد. أنا لا أريد الركوب في سيارة إسعاف، ولا الذهاب إلى المستشفى.

ثم استطاعت "تانيا" الوقوف، وانتهت بأن اقنعتهم.

قالت لرجال الشرطة:

- أطلب منكم- فقط وببساطة- أن تصطحبوني إلى منزلي.

قاطع "چين":

-لحظة واحدة. أين تسكنين؟

أفحمته:

-ما شأنك في ذلك؟

- لا أريد أن تمكثي بمفردك هذه الليلة مادمت أني لست متأكداً من أنك لا تعانين من شيء خطير....

ثم أضاف:

- أنا لا أتمسك بأن تتبعيني من أجل أمر خسائر أو منفعة.

استطردت "تانيا":

- إذا كنت تتكلم عن الخسائر فإنك تعترف بأنك مخطئ.

أجاب:

- لا بالمرة. لكني قلق من أجلك. على الأقل اقبلي تناول شيء ما عندي، وسوف أعيدك إلى مسكنك عندما تشعرين بالراحة تماماً.

إن الكلمات لم تسعف "تانيا" فلم تستطع الإجابة، كان يبدو صادقاً فيما يُظهر من قلق نحوها.

عاود "چين" الكلام، وكأنه قرأ مايدور في أفكارها:

- أنا لا أريد الاستفادة من الموقف، ولا تجاوز الحدود. بالإضافة إلى أن ما أقدمه لك من اقتراح أمام رجال القانون يجب أن يطمئنك.

وأخيراً بعد أن وافقت قالت:

- حسناً.

أنهى رجال الشرطة المحضر في الوقت الذي أتت رافعة تحمل "فيكتورين". كما أن "تانيا" سرت عندما رأت أنهم حرروا مخالفة لـ "چين راندال" لتجاوزه حدود السرعة في القيادة.

وعندما أخذت الفتاة مكانها في الـ BMW كانت مرتبكة إلى حد أنساها مبدأ القدر.

الفصل الثاني

كان "چين" يسكن منزلاً قديماً قائماً على مجموعة صخور، تطل على الخليج.

وما إن دخلت "تانيا" هذا المسكن حتى أخذت بسحره. كان كل ما فيه يبعث السعادة، والراحة، والمناخ الدافئ النابع من جمال الأثاث القديم.

كانت واجهة المبنى ذات جمال معماري يرجع إلى الطراز الاستعماري في ذلك الوقت في بداية هذا القرن. وكان زواق -من الخشب ذو درابزين منحوت بعناية - يمتد من طرف المسكن إلى آخره وهو مقدم مساحة للراحة وكانت كل الحجرات تفتح عليه بأبواب نوافذ كبيرة.

كانت الأرضية من الرخام والسجاجيد شرقية، والأثاث ستيل.

وعندما دخلت "تانيا" الدهليز لم تتمكن من منع صيحة إعجاب بالمصباح- الضخم الرائع -وهو من "فينيسيا"-الذي كان يضيء المكان.

كان "چين" يراقب الفتاة من غير أن يعمل على إخفاء سروره، ثم اقترب منها، تفحص جبينها: لكي يتحقق من حالتها.

أعلن "چين":

www.zakawyna.com

- سنعتني بهذا. هل أنت جائعة؟

كانت "تانيا" متحاملة على ردود الفعل غير المنطقية عندها إزاء لمس هذا الرجل مهما كان خفيفاً.

قالت معترفة:

- إني أموت جوعاً. لكن لا تهتم بإصابة جبهتي.إنها بسيطة.

- لن أخاطر. ساعمل على معالجتك. تعالي معي إلى المطبخ.

تبعته الفتاة في الدهليز، وكانت أثناء سيرها تختلس نظرات الفضول إلى الحجرات من الأبواب المفتوحة. كان كل شيء يوحي بالذوق الرفيع، والانسجام، كان متعارضاً تماما مع خصال "چين" الجافة.

سألته:

- هل تعيش هنا بمفردك؟

- يوجد دائماً أحد هنا. وأغلب الأحيان انهم خدم.

لاحظت "تانيا" نظراته القلقة فقالت:

- من تعتبرني؟ أتظن أني أقوم بهذه الاستفسارات لتدبير سرقة؟

قال مازحاً:

- اعتبري أن علاقتك بسيدة مثل "دولور" لا تدعو لوضع ثقة فيك.

- إنها ليست الأفكار المتخيلة سلفاً التي تنقصك! وسياتي الوقت الذي ستعيد النظر في آرائك عن البوهيميين، والنظار.

قال وهو يضيء نور المطبخ:

- يسعدني أن تثبتي لي العكس.

اجلسي ساحضر لك صيدلية الإسعاف.

فضلت "تانيا" فحص الحجرة معجبة بالموزايكو، والأواني النحاسية التي كانت تزين الحوائط.

وحين عاد سألته:

- كيف تمكنت من العثور على فرن كهربائي يشبه الأفران القديمة؟

- لقد صنع خصيصاً . كفي عن لمس الأشياء مثل الأطفال، وتعالي

اجلسي هنا.

أجابت "تانيا" ضاحكة:

- هل تخشى من أن أترك بصمات أصابعي القذرة في كل مكان؟ مهما كان الأمر فلا داعي لأن تترك يدي آثاراً في هذا المسكن.

إن أشياء كثيرة حدثت فيه. ضع لي بعض النقود في يدي، وساخبرك بكل شيء.

سُرت "تانيا" عندما رأت أن لعبتها كفجرية مزيفة جعلته يمط شفتيه.

استطرد:

- مستحيل. أنا لا أرغب في معرفة ما قد دار هنا. إني لا أتمسك باكتشاف هياكل عظمية في قاع دولاب المكانس.

وما إن انهى كلامه حتى رفع "چين" سترته، قلب كمي قميصه على مقدمة ذراعيه ذواتي العضلات الواضحة، ورفع كرافتته. وبعد أن ملأ وعاء بالماء الدافئ، عاد بالقرب من الفتاة ومعه معدات الإسعاف، وقفازا.

قالت بنبرة ساخرة:

- يالللجدارة! كم أنا متأثرة!

قال :

- في استطاعتك. غير انه ليس هناك من يستحق مثل هذا الاهتمام من جانبي.

رفع ذقنها، وبدأ يغسل جرحها... مرة أخرى اقشعرت للمسة يده.

قال معلقاً:

- مستحيل. إنك تضعين طبقة مكياج كافية لطلاء وجوه فرقة.. مسرح كاملة.

- إنه جزء من مهنتي.

أردف:

- مهنة قديمة.

لم تهمل "تانيا" مثل هذا التعليق

قالت:

- أنا لست بغيا.

- حقا. لقد نسيت أنك قارئة خطوط اليد بلا دفاع.

كانت "تانيا" موشكة على الإجابة غير انها فطنت إلى انه يعمل على إثارتها.

غير أنه لم يعد يهب أي اهتمام للجرح الذي كان يفحصه بعناية. كانت الفتاة جالسة على كرسي أما هو فكان جالساً على طرف المائدة. الوضع الذي سمح للفتاة أن تلاحظ انه يتمتع بما يسمى "كمال الأجسام" سألته:

- كم ساعة في الأسبوع تقضي في الرياضة لكي تحصل على هذا القوام؟

- هل أعجبك؟

- تقريبا.

إن "تانيا" كانت تندهش لما جعلها تهتم بهذا الشاب للمرة الثانية في هذا اليوم كما انها تأكدت تماماً من الوداعة التي كان يعالج بها وجهها. سألته:

- ألم تنته من مهمتك بعد؟

- لا . امكثي هنا.

-لكن لماذا تقوم بكل ذلك علماً بان كل ما يتمثل في لا يعجبك؟

-يحدث لي أيضاً أن أضم الكلاب الضالة.

- وهذا التصرف يشرفك!

كانت "تانيا" لا ترغب في إبعاد نظرهاعن الوجه المنحني عليها. كانت بداية لحيته تخفف من مظهر فكه، وتظهر فماً أحمر قد يكون جذاباً. اما خصلات شعره الكستنائي فكانت تتوج جبينه، وكانت عيناه سوداوين ذواتي رموش طويلة ....عجزت الفتاة عن الحكم بما إذا كان جميلاً أم لا. لكن شيئا واحدا لا يمكن أن تتجاهله وهو: لايمكن الايكون موضع لفت نظر.

أيضاً ماشد انتباهها هو انفه.: طويل، دقيق، مستقيم من هذا النوع

الذي يشير إلى هؤلاء الأشخاص المنحدرين من الطبقات الأرستقراطية، من ينعمون بالحياة.

فجاة شدتها رائحة المطهر من أحلامها. تمتمت عندما وضع قطعة القطن الباردة على الجرح:

- اوه.

انبها في لطف:

- هيه؟ إنك على حق إنها لم تكن سوى كدمة.

تراجع بخفة، شبك يديه على ركبتيه. وعندما تلاقت نظراتهما لم يتمكن الشاب من إخفاء رد الفعل عنده مندهشا. بدات "تانيا" من جانبها في التحقق من أن هناك شيئاً غير مفهوم يجذبهما الواحد نحو الآخر. غير ان فكرة أن يكون هناك عامل مشترك بينها وبين "چين" تعتبر أمراً مستحيلا.

همهمت:

- شكراً على عنايتك. إنك شخص لطيف جداً.

- إن كل السرور لي. لقد سعدت بذلك.

نهض "چين" ودخل إلى وسط المطبخ مفضلاً إعطاءها ظهره.

ثم قال:

- إذا كنت قد قمت بدور الطبيب فذلك حتى أتاكد من انك لا تعانين من شيء خطير يؤخذ ضدي.

أجابته "تانيا":

- اسمع. ليتنا نوضح الأمور فيما بيننا. إن المجوهرات البسيطة التي تراها علي هي كل ما امتلك، وليست لي.. إمكانات لدفع تعويض عن خسائر سيارتك، أو القيام بإعادة طلائها؛ لذا وجب عليك الاكتفاء بما يقبل التامين أن يعطيك اياه، وسوف يعطيك ذلك درساً في كيفية التعامل مع السيارات المعجبة بنفسها.

-كيف هذا ؟ إن الـ "BMW" سيارة مريحة، وعملية. حسناً دعينا الآن من ذلك ما رايك في البيض المخفوق؟

- يبدولي أنه لذيذ.

ذهب "چين" واخرج بيضاً، وبدأ في إعداد الوجبة التي وعدها بها.

كانت "تانيا" تنظر إليه، وهو يعمل في صمت مقدرة دقة واقتصاد كل من حركاته.

سألها:

- "تانيا"، وجب أن أعلم فإن فضولي قوي: لماذا تجوبين الشوارع في مثل هذا الزي ؟

عضت الفتاة على شفتها، ورفعت أساورها بعصبية على مقدمة ذراعيها.... وعندما لاحظ "چين" عصبيتها ابتسم بمرح، ولم يلح في سؤاله.

أجابت بعد لحظة:

- إنك أول "چين" اتقابل معه. إنه اسم غير مألوف. أليس كذلك؟

قال مفسراً:

- إن والدتي أعطتني هذا الاسم تيمنا بـ "چين كيلي" إذ كانت تحلم بأن تجعل مني راقصاً.

- وفشلت؟

- لا. إنها لم تعش طويلاً؛ لترى ذلك.

-المعذرة. أنا آسفة. ماذا حدث؟

ارتسمت حينئذ على شفتي "چين" ابتسامة ساخرة، ثم ضحك قائلا:

-ماذا حدث لك؟

أثرت "تانيا" الصمت واكتفت بوضع مرفقها على المائدة، ودقنها في كفها، والنظر إليه وهو يصب البيض المخفوق في الطاسة. ليس هناك ما يقطع الصمت الذي يسود المكان إلا صوت الطهي. بعد ذلك أتى "چين" ليلحق بـ "تانيا" حاملاً بين يديه طبقين مليئين. عاد بعد ذلك لإحضار الخبز، والزبد، وزجاجة "كوكا" وكاسين غاية في الجمال.

قال:

- لم تكشفي لي حتى الآن عن سر تخفيك.

أجابت "تانيا":

- عندما تكلمني عن التنكر... انت لا تعمل أكثر من الاسترسال في

أفكارك المحدودة.

إن هذه الملابس يا "چين" هي ببساطة ملابس مهنتي.

- ببساطة. أسلوب يبدو لي في غير مكانه؛ لأني أجد عكس ذلك إذ إنه ليس ما يشير إلى البساطة في كل ما يخصك مد "چين" يده وأخذ يداعب قرط الفتاة الطويل الذي كان يتدلى من أذنيها، وحينما لمس أصبعه عنقها - فجأة- أحست وكان شحنة كهربائية سرت تحت الجلد. كانت "تانيا" قد ظنت أنها بعد أن استعادت قوتها ستكون أقل حساسية للملامسة، لكنها تأكدت من أن هذا لم يحدث.

أما عن "چين" فهو لم يبدُ غير حساس لهذه الظاهرة الغريبة، ولكي يتأكد من ذلك، أمسك بوجه "تانيا" بين كفيه، وقطب حاجبيه، ثم قال :

- اتعلمين أنك تتمتعين بشخصية محركة للفتنة، مثيرة..؟

دافعت الفتاة عن نفسها قائلة:

- لا. أنا لا أرى، ولاأفهم ما تريد قوله.

فجأة أتت فكرة إلى ذهن الفتاة: إذا كان مجرد لمسات يديه تتسبب لها في رد الفعل هذا فماذا إذن سوف يحدث إذا ما وقعت في حبه؟ ثم طردت هذه الفكرة في الحال.

قال مبتسماً:

-أحب جيداً هذه الفكرة التي أتتك الآن.

- لم يكن لدي شيء في فكري.

- قد لا تكون الفكرة في ذهنك، غير أنها كانت مكتوبة بكل حروفها على وجهك.

ولما لاحظت "تانيا" أن عينيه بدأتا تلمعان وأنه يريد أن يستمر في لمسها قالت:

- توقف. إننا كنا نتكلم عن ضيق أفقك. أخذ يكرر:

- تفكيري ضيق محدود.....

ولما كانت "تانيا قد فقدت قدرتها على احتمال بقائها بالقرب منه، نهضت وأخذت تذهب وتجيء في المطبخ، وهي تعلم أنه يسلط نظره

عليها.

بدا فجاة رأسها يدور، فاضطرت إلى الاستناد إلى الثلاجة.

قفز "چين" في الحال مسرعاً نحوها واحتواها بين ذراعيه.

قال قلقاً:

- كم أنت شاحبة!

وعندما شعرت "تانيا" انها قريبة جداً منه صاحت:

- لا تلمسني.

سالها وهو يتراجع في الحال:

- ماذا تحاولين ان تفعلي بي؟

- لاشيء. إن كان هناك من يريد ان يعمل فهو انت. الأفضل لي أن انسحب من هنا، وفي الحال.

- لا. إنك لم تستريحي بعد . لماذا لا تقضين ليلتك هنا ؟

إن فكرة قضاء ليلة تحت سقف واحد مع هذا الشاب المثير اوجدت في "تانيا" عاصفة من الأحاسيس لم تحاول حتى أن تحللها.

- لا جدال في هذا!

هنا صاح "چين":

- لكنك من تعتبريني على قسط كاف من الإدراك حتى لا اضع نفسي في موقف يعطيك الفرصة. لكي تنالي مني.

افحمته "تانيا":

- انا لا اعرف إدراكك، ووعيك. إنى أعرف إدراكي انا. أرى انه من الأفضل أن اذهب، واجلس في الصالون. غير انه - على كل حال - وجب أن انصرف.

اصطحبها "چين" إلى حجرة المعيشة حيث اجلسهافي مقعد ذي مساند امام المدفاة الكبيرة، وكانت من الرخام. ثم جلس امامها. كانت الفتاة تعرف انها قضت فترة طويلة في صحبة "چين". إن حياتها كانت معقدة بما فيه الكفاية، ولا تحتمل أن تضيف إليها مشاكل جديدة وان فكرة البقاء معه قد لا تقودها إلا نحو كارثة إنها كانت تعلم ذلك تماماً.

سالها:

- هل تشعرين بتحسن؟

- نعم. وفي إمكاني الرحيل خلال دقائق.

اقترح "چين":

- ماذا لو عدنا إلى ما يدُعى ضيق أفق؟

مع ذلك انا لا أرى علاقة مع امر تنزهك في هذه الملابس.

واجهته كذباً:

- إني غجرية. إن رداء شعبيا ليس إلا ما تسميه تنكراً.

-إذا كنت غجرية اصيلة، فمن اين لك هاتان العينان الزرقاوان الصافيتان؟

- لنقل: إن إحدى جداتي قد خانت قبيلتنا.

إن قوانين "مندل" تشرح ذلك جيداً جداً. اجاب ضاحكاً:

- يصعب علي تخيل أن غجرية تنبئ باحداث المستقبل الجيدة، تستطيع تناول حديث عن الوراثة.

-علامة اخرى عن معتقداتي الأولية!

- ليست لي اي معتقدات يا "تانيا". غاية ما في الأمر -وببساطة- انالا اصدقك.

ضحكت الفتاة:

- اعترف باني لا اخبرك بالحقيقة كاملة إذ إني انحدر من أصل "بولونيزي، ومنه يظهر لقبي: "زيدزياك". غير أن جدتي لامي كانت غجرية، وكان جدي يعلل سبب زواجه منها بانها كانت قد اعلمته بمصيرهإنه منها وإني قد ورثت موهبة معرفة الغيب.

بدا "چين" ثائراً وقال:

- اسمعي يا "تانيا". في إمكاني تصديق انك من أصل "بولونيزي" "وإن جدتك غجرية ، لكن لا تنتظري أن اصدق هذه القصة بانك تعلمين الغيب.

- وانا لا اطالبك بذلك لانه واضح انك لا تعتقد إلا في حفلات

الموسيقى.

- انا لا اعتقد إلا فيما يتمكن العلم من تفسيره.

- إنه من حقك.

- ماذا تعملين بالضبط لهذه السيدة "دولور"؟

كانت "تانيا" في لحظة موشكة على الإفصاح له بالحقيقة.. غير انها فضلت الاستمرار على هذا الطريق:

- إنني اقرأ الطالع، واعرف في خطوط اليد مثل كل غجرية تحترم مهنتها.

ضحك الشاب:

- خطوط اليد. اثبتي لي إذن بقراءة خطوط يدي.

-ليس لدي ما اثبته.

-هل انت خائفة؟

- إنك انت الخائف. إن العلوم السحرية تخيفك.

ثار "چين":

- خطا.

- إذن لماذا تعمل على إقناعي بان هذه المواهب غير موجودة؟ ثم ساسكون بعد الدقائق التي تلت هذه المناقشة.

عاد "چين" إلى الكلام:

- حسنا اقرئي لي خطوط يدي، حتى اتاكد.

- اتفقنا. مع ذلك انك اعجبتني. هيا نجلس على الأريكة.

ذهبا معاً، وجلسا متقاربين على الأريكة الأنيقة المكسوة بالقطيفة الزرقاء.

أمرته "تانيا":

- ضع يدك في يدي.

كانت يد الشاب تبدو اضخم من يد الفتاة، وكان لونها البرنزي يتعارض مع بياض كفها.

لقد فوجئت "تانيا" عندما لمحت خشونة على أطراف أصابعه. إن هذه

اليد العاملة لا تتفق مع مظهر رجل أعمال أنيق. ومن هنا استنتجت "تانيا" انه لا بد انه يمارس إحدى الرياضات: "التنس" مثلاً.

وعندما اغلقت عينيها، سالها "چين":

- ماذا تعملين؟

في الواقع كانت "تانيا" تعمل على التخلص مما كان يثيره عندها لمس اصابعه غير انها استمرت في الكذب:

- اصمت. إني الآن متصلة بنجمك.

وعندما فتحت عينيها التقت بنظرته المرتابة. كان "چين" في ظاهره زبوناً عنيداً مقاوماً.

- ارني يدك الأخرى.

اعلنت:

- إنك شخص ثري.

- خطا.

- لا تبدا بالكذب؛ لأن الشخص الفقير لا يمتلك سيارة "BMW".

قال "چين" مؤكداً:

- انا لا اكذب. لقد استطعت شراء هذه السيارة؛ لأني انتبهت جداً.

- على اي حال يوجد مال حولك. إن أسرتك ثرية.

- كيف علمت ذلك؟

- مكتوب في خط المال. ليس فقط أن أسرتك ثرية إنما انت تهتم ايضاً بمال الآخرين.

هنا اعترف:

- من الممكن ان اعمل قريباً في مكتب توظيف الأموال.

تنهدت "تانيا"، وقد اطمانت؛ لانها بذلك قد حققت نقطة، ثم مسحت الحجرة بنظرها قبل أن تستطرد:

- إنك تحب هذا المنزل. ولا اعتقد انه منزلك. غير انك نشات فيه لأنك قد قضيت فيه فترة، وان لك ارتباطاً وثيقا به.

لم يجب "چين" هذه المرة، لكنها شعرت انه يتجمد بين انامله. هاهي

تحصل على نقطة ثانية.

لأنها لاحظت وجهه، والتغيير الذي طرأ عليه بظهور تجاعيد على جبينه.

أضافت:

- أنت شاب محب، وتبحث عن الحب الحقيقي.

- ألا ترين أنه حال كل الشباب ؟

- قد يزيد أو ينقص. أشعر أنك وحيد.

إنك تزوجت، لكن زواجك لم يدم طويلاً

في هذه المرة كاد "چين" يرتفع بجسمه.

تركت "تانيا" يده اليسرى حتى تتبع بإبهامها خطوط يده اليمنى.

استطردت:

- لكنك ستتزوج ثانية؛ لأني أرى خط زواج جديدا بدأ ينشأ في كفك، مازال خفيفاً، لكن قبل عام ستكون قد حصلت على السعادة.

وهانت قد تقابلت مع الفتاة التي ستحبها.

فجأة، ودون أن تتوقعه شعرت الفتاة بالغيرة، وهي تعلن هذه المعلومة.

فجأة- أيضاً- ودون أن تتوقع سحب "چين" يده، وأخذها بين ذراعيه، ونظر إليها نظرة عميقة.

تمتم الشاب:

- أشعر أنك تداعبين يدي برفق منذ فترة طويلة. ماذا سيحدث بعد ذلك؟

سألته:

- لست أدري ماذا تقصد؟

ضمها "چين" إليه قائلاً:

- بلى. إنك تفهمين جيداً.

ولأول مرة في حياتها لم تجد "تانيا" ما تجيب به.

عندما شعرت الفتاة أنهما بدأ ينجذبان إلى بعضهما البعض أيقنت

أنها بدأت تسيطر على نفسها، وأنه وجب أن تقوم برد فعل بأسرع ما يمكن قبل فوات الأوان.

قالت:

- "چين".

لكن الفتاة لاحظت أن ما أرادت به أن يكون اعتراضاً قد سمع كأنه نداء.

تمتم:

- إني أريدك، ياصغيرتي، ياجميلتي الغجرية.

إنك فعلاً جذابة.

وعندما حاول الاقتراب منها لكي يقبلها، أرادت الفتاة الاعتراض غير أنها تاهت في النظرة التي كان يلقيها إليها، ولم تجد كلمة تتفوه بها.

أكمل "چين":

- منذ أن تقابلنا وأنا أرغبك. إني أعلم أنك قررت كل شيء. أنا لا أدري كيف عملت على جعلي أفقد عقلي، ولا أي هدف- أنت- تتبعين، لكن ما أعلمه أني لم أنجذب لفتاة كما هو الوضع معك.

وعندما أفاقت "تانيا" وفهمت ما كان يقوله صاحت بعد أن تراجعت بعنف:

- كيف هذا؟ قررت كل شيء! لكن هذا خطأ.

اتسعت عينا "چين" هو أيضاً، ومسح وجهه بيده. وكان ثائرا عندما نظر إليها ثانية:

- إنك لم تكفي عن إثارتي طوال الأمسية، لأني كنت أشعر بندائك كل مرة حين كانت يدانا تتلامسا.

- لا على الإطلاق. أنا لا أعلم ما يحدث. أنا لا أتابع أي هدف من هذا النوع.

- إذن لماذا تكلمت عن الحب عند قراءة خطوط يدي؟ إنك لم تتكلمي فقط عن أحاسيسي من ناحية الحب، بل أكثر من ذلك لقد تقدمت إلى توقع زواج. ربما كنت ترين نفسك في الفستان الأبيض.

هنا انفجرت الفتاة وهي تنهض:

- كفى. انا لا اطلب الزواج من احد.

ليست لي لا الرغبة في ذلك، ولا الوقت. إن لدي اشياء اخرى اقوم بها. سأرحل وفي التو، ولا تخش اي ملاحقة من جانبي؛ لاني لا اريد ان اراك ثانية.

وعندما وصلت إلى الباب امسك بها "چين".

ثم قال بلهجة الاحترام:

- انتظري كيف ستعودين إلى منزلك؟

- سيراً على الاقدام.

- لكنك لا تستطيعين المشي.

- اتريد ان تتكلم؟

- هيا تعقلي. دعيني ارافقك. انت لا تستطيعين السير بمفردك في الشوارع. إن الساعة الآن تجاوزت الواحدة صباحاً

اجابت الفتاة:

- إني لا اخاطر خارجاً اكثر من بقائي هنا.

وعندما وصلت إلى البسطة فوجئت بافتتان جديد. امسك "چين" في الحال بذراعها، واصطحبها إلى سيارته. اخيراً قبلت "تانيا" ان تعطيه عنوانها، وما هي إلا خمس دقائق وكانا امام منزلها.

وبعد ان اوقف المحرك قال لها:

- اسمعي يا "تانيا". اقدم لك اعتذاري عما قد صدر مني دون قصد، واتمنى ان نتكلم معاً مرة اخرى.

مكثت "تانيا" صامتة كانت تسعى إلى إعادة الاستقرار إلى ذهنها، ونفسها، وروحها. إن الجاذبية التي كانت تربطهما كانت تبدو لها شبه ملموسة.

ثم اردفت:

- انا لا اعتقد انه من الضروري ان نلتقي مرة اخرى؛ لاني لا افهم شيئاً مما حدث هذا المساء.

- سبب اخر لكي نتوقف عند هذا الحد.

- إن الاستمرار في هذه العلاقة قد يقودنا إلى كارثة.

ثم اضافت:

- إنك كنت واضحاً تماماً. لقد اعلنت بعد ان ايقنت من انا- كما انك تعتقد- اني اسعى للزواج.

لقد تقبلت الكثير من هذه الاتهامات.

ثم فتحت "تانيا" باب السيارة، والتفتت مرة اخيرة:

- شكراً من اجل عنايتك بي، ومن اجل الوجبة.

طاب مساؤك.

تبعها "چين" إلى الباب وقال:

- ساطلبك غداً لمعرفة اخبارك.

- لن يفيدك. إذ إني بالنسبة للسيدة "دولور" لست- فقط- عاملة عندها، وإنما ايضاً صديقة وساقضي إجازة نهاية الاسبوع عندها.

- أستطيع رؤيتك يوم الاثنين؟

- لا ... ليس لدي دقيقة واحدة اتمتع بها. والآن وليس لدي سيارة سيكون الحال اكثر من ذلك؛ لانه يجب علي ان انصرف صباح يوم الاثنين في الساعة السابعة للذهاب إلى ... إلى حيث ينبغي ان اذهب.

نظرت إليه "تانيا" ثانية، وظل ندم في عينيها.

لكنها عملت بمشقة عالية خلال كل هذه السنوات، ولا يليق ان تستسلم الآن للياس، وقد اقتربت من الهدف.

ثم صعدت درجات سلمها دون ان تضيف كلمة واحدة. كان في استطاعتها ان تشعر بنظرات الشاب من خلفها. وحتى بعد ان اغلقت الباب خلفها، كانت "تانيا" تشعر انه موجود دائماً.

واخيراً اطمانت عند سماع صوت محرك السيارة يبتعد.

والآن وقد اصبح "چين راندال" بعيداً، تصورت ان الرؤية قد وضحت امامها.

جلست "تانيا" امام مائدتها، اخرجت ورق الخطابات، وبدأت كتابة خطابا باللغة "البولونية":

"ابي العزيز. امي العزيزة. أرغب في ان أسرد لكما كيف قضيت يوماً عجيباً....."

الفصل الثالث

في صباح يوم الاثنين كانت "تانيا" قد عوفيت تماماً من أثر الحادث، وهذا من الناحية الجسدية. اما عن الناحية النفسية فلم يكن الحال كذلك؛ إذ كانت صورة "چين" قد انطبعت، خلال فترة لقائهما القصيرة، بعمق إلى حد جعلها غير قادرة على إبعادها عنها.

كانت قد قضت يوم السبت في السرير لتستريح، لكنها لم تكف حينئذ عن التفكير فيه. كانت ذكراه تلاحقها في لحظات غير متوقعة، وكانها سلسلة صور فوتوغرافية تتراءى لها.

بعد قضاء سنوات في كسب عيشها، ومتابعة دراستها اكتشفت "تانيا" إلى اي مدى كانت ترغب في الحصول على من تستند عليه، وخاصة ان يكون على رجل فمن هنا كانت الصعوبة في نسيان "چين".

كانت هذه الفكرة قد هدأت بعض الشيء في يوم الأحد، وكانت تتعشم أن قضاء يوم في عمل شاق كفيل بطرد صورته من أمامها جذرياً.

كان على "تانيا" ان تخرج من الساعة السابعة إلا ربعا اي ساعة قبل ميعادها المعتاد؛ حتى تتاكد من انها لن تتاخر.

www.7akawyna.com

اختصرت "تانيا" في استعداداتها حتى إنها اكتفت باخذ حمام لأن الوقت كان لا يسمح إلا بذلك. اخذت تصفف شعرها بسرعة ووضعت لمسة من الاحمر على شفتيها. لم تغفل عن العناية بخصلات شعرها؛ حتى تخفي بها إصابة جبهتها. وبعد ان ارتدت "جيبة" سوداء، و"بلوزة" بيضاء، اخذت كتبها، وحافظتها ثم خرجت.

وعند بلوغها منتصف درجات السلم لمحت الـ "BMW" واقفة على الرصيف. تجمدت، وخفق قلبها. لا بد أن يكون "چين".

الإصابة التي لحقت بالسيارة، وقوام السائق الأرستقراطي كانا الدليلين الكافيين لإثبات أنها سيارة "چين".

كان "چين" جالساً أمام عجلة القيادة وقد اوشك صبره أن ينفد. التفت نحو البسطة التي كانت تقف عليها الفتاة مترددة... تنفس بعمق، واستند إلى الباب، وبيده الأخرى كان يدق على " التابلوه" بعصبية.

ابتسمت "تانيا" ابتسامة شقية. يبدو أنه لم يعرفها. في الواقع كيف يربط بين هذه الشابة الطالبة، وعجرية المساء؟

فقالت "تانيا" لنفسها: إنه في إمكانها - دون قلق- المرور من أمامه دون الوقوع في حرج.

غير أن هذه الإمكانية تبددت عندما أدار "چين" رأسه فجاة.

نظر إليها بانتباه، ثم خرج من سيارته وذهب للقائها.

سأل غير مصدق:

- "تانيا"؟

أجابت، وهي تستمر في النزول، وتحتضن كتبها: صباح الخير يا "چين"

تنهد الشاب مسروراً:

- إذن إنه انت.

- كسبت، ماذا تفعل هنا؟

- كنت على حق عندما فكرت في أنه ليس كل ما يخصك يتسم بالبساطة. كدت لا أعرفك.

نظر "چين" إلى الفتاة- الرائعة الواقفة بالقرب منه- من رأسها ، إلى قدميها غير محاول إخفاء إعجابه بها.

قال:

- ما اعمل هنا؟ لقد اتيت حتى اصطحبك إلى حيث تشائين الذهاب.

قالت وهي تنظر إلى ساعتها:

- مبكراً هكذا. يا إلهي! ساتاخر عن ميعادي.

- إذن اصعدي.

وفتح لها الشاب باب سيارته، وقد بدا مسروراً، وابتسامة مشرقة على وجهه.

كان "چين" يبدو جذابا في زيه المكون من "چاكيت" يظهر كتفيه العريضتين، وقميصه الناصع البياض ورباط عنقه الرزين؛ لذلك اضطرت "تانيا" أن تعترف بجاذبيته بالرغم من مظهره الرسمي.

قالت:

- شكراً لساخذ الأوتوبيس.

- ولماذا مادام أمامك سيارة تحت تصرفك؟

ومن جانبي اتمنى- حقاً- تقديم اي خدمة لك.

- إن المشكلة تكمن هنا. إنك تتمنى اشياء كثيرة جداً. قال ملحاً:

- انسي يا "تانيا" الشاب الذي تقابلت معه ذات مساء؛ لأني اشعر بالخجل بالنسبة لما حدث، واقل ما يمكنني تقديمه هو أن اصطحبك اينما شئت.

اخيراً قبلت الفتاة عرضه. على اي حال كان الأوتوبيس قد مضى الآن.

سالته وهي تجلس:

- لكن كيف خمنت اني سارحل مبكراً هكذا؟

- إنه انت التي قلت لي ذلك عندما اعلمتني انك لا ترغبين في مشاهدتي مرة اخرى. ففكرت حينئذ اني بمفاجاتك هكذا سيكون لي فرصة لقائك.

www.rewayna.com

- على ما أرى إنك لا تتمسك إلا بالمعلومة التي تهمك.

ابتسم "چين":

- في حدود تناقضك. حسنا! والآن أين نذهب؟

- عند موقف الأوتوبيس. سبق وأخبرتك بأني سأتأخر عن موعدي.

- تتأخرين عن ماذا؟

- عن الجامعة.

أمسك "چين" بأحد المجلدات التي بيدها، واتسعت عيناه عندما قرأ العنوان: "سيكولوچية الحياة اليومية"

اعترف الشاب:

- أشعر أني.. قللت من قدرك عندما تقابلنا، ماهو تخصصك؟

أجابت "تانيا":

- لن أتخصص في أي شيء كان إن لم أذهب في الحال إلى الكلية.

- متى تريدين التواجد في الكلية؟

- ليس قبل الثامنة والنصف لكن.....

قاطعها بقوله:

-رائع . في هذه الحالة أمامنا الوقت الكافي؛ لتناول الإفطار، والثرثرة قليلاً.

أدار "چين" محرك السيارة، وغادر الرصيف وفجأة سمعا خلفهما صوت نفير، واحتكاك فرامل.

صاحت "تانيا":

- "چين" الآن فهمت كيف تصرفت حتى إنك صدمت سيارتي.

اعتذر وهو يهدئ السرعة:

- إني لست معتاداً لا على هذه السيارة، ولا على قيادتها، ولا على حركة المرور.

ثم قاد السيارة ببطء على الكوبري الذي يربط الجزيرة بالساحل.

جاء تعليق "تانيا":

- كيف لا تعتاد حركة المرور بينما أنت من سكان "لوس أنچيلوس"؟

ألقى إليها "چين" نظرة سريعة، تقطب جبينه،وتساءل في الحال: إذا كان يجب عليه أن يوضح لها أم لا؟ وانتهى بأن هز كتفيه.

- مازلت غير مصدق أنك أنت التي قابلتها مساء يوم الجمعة. إنك...

قالت:

- محترمة.

- لا.

- عادية.

- أوه! لا.

قال هذا، وهو يلقي إليها نظرة ملتهبة؛ جعلت الحمرة تعلو وجنتيها.

قالت:

- انظر أمامك .

ضحك "چين" مسروراً، وهو يعيد انتباهه إلى الطريق، وبعد لحظة استطرد:

- إذن قولي لي: إلى أي محاضرة تذهبين؟

- إعداد لعلم نفس.

كرر "چين":

- إعداد؟ لكنها فرقة المبتدئين. هل أنت جديدة؟

تنهدت "تانيا":

- أوه لا. إن لي فترة طويلة.

- إذن لماذا هذه المحاضرة؟ ما عمرك في الواقع؟

- أنا لا أتابع هذه المحاضرة. إني أعطيها. أدرسها.

توقف "چين" أمام مقهى. ثم بعد أن جلسا أمام إحدى الموائد، وطلب ما يريد قال:

- إذن، بذلك أفهم أنك تحاضرين في قطاع علم النفس.

- إني معيدة وبعد أسبوعين ساكون دكتورة "تانيا زيدزياك" وهذا إذا اجتزت المناقشة وإذا كانت كاتبة الآلة ستنهي لي رسالتي في الميعاد.

تمتم "چين":

- دكتورة "تانيا زيدزياك".

استند بمرفقه إلى المائدة، ثم وضع ذقنه في يده، وألقى إلى الفتاة نظرة جديدة.

سألها:

- ماذا أعمل لكي يغفر لي؟ أؤلقي بنفسي في المحيط وحول عنقي كتلة اسمنت؟

وضعت "تانيا" طبقة من مربى "البرتقال" على قطعة "توست"، وبدأت تأكلها.

- لا أدري..... ربما يكون في إمكانك أن تحفر لنفسك وكراً في أحد الحقول. هناك تكون في صحبة "الديناصورات".

- إنك لست على استعداد لإبداء التسامح. أليس كذلك؟

قالت الفتاة:

- ليس بعد كل هذه الفظائع التي ارتكبتها معي.

إني فتاة بريئة.

- لست بريئة إلى هذا الحد مادمت فهمت تصرفاتي.

مع كل أنا لم أتكلم إلا عن "سيدة"، "ومهنة قديمة".

- بريئة لكن غير مؤدبة.

- اسمعي يا "تانيا" لو كنت استطعت تخمين من أنت؟ وما هي حقيقة شخصيتك؟ ما كنت تناولت مثل هذه الأحاديث، ولا تفوهت بمثل هذه التعبيرات.

- "چين راندال": إنك تطعن نفسك.

مهما تكن شخصيتي أو ملابسي يوم الجمعة، فهذا لا يعطيك حق التصرف الذي قمت به.

- أعتقد أنه لا ينقصني إلا أن أطلي نفسي بالعسل، وأن ألقي بنفسي في وكر نمل.

ضحكت "تانيا"، وقالت:

- بالتأكيد. حسناً. اكمل قهوتك لأنه وجب أن ننصرف.

وبعد عدة دقائق كانا قد وصلا وصفا السيارة في جراج الكلية.

ثم عاد "چين" إلى الحديث:

- في الواقع. لماذا كنت تتجولين في الشوارع متنكرة في زي غجرية بينما ستكونين عما قريب دكتورة في علم النفس؟

قاطعته وهي تغلق باب سيارة "چين":

هذا أمر يطول شرحه. شكراً من أجل الإفطار والتوصيلة.

لحق بها "چين" جرياً، ثم امسك بذراعها وقال:

- لن تنصرفي هكذا. متى سأراك؟

- چين" من فضلك. إذا سمحت انس ذلك.

إننا لم نخلق من أجل أن يكون أحدنا للآخر ، ولا أعتقد حتى إنه من الممكن أن نكون أصدقاء.

- أنا لست قديساً يا "تانيا"، واعلم تماماً أنك وجدت في شخصاً صارماً مشبعاً بأحكام مسبقة. غير أني لست وحشاً . اتركي لي فرصة.

اعترضت "تانيا":

- "چين". ليس لدي وقت للكلام. إن كل دقيقة محسوبة علي.

- لابد أنك تتناولين طعامك من حين لآخر. لماذا لا تقومين بذلك في صحبتي؟

كانت الفتاة تجد صعوبة أكثر فأكثر في مقاومته. كان وجوده مثيراً وجاذبيته قوية. حينئذ شعر "چين" أنها تضعف.

- كيف أستمر في الحياة، وأنا محكوم عليّ

أنا أتساءل: كيف يعقل أن فتاة جميلة، ذكية، مثقفة تعمل مع السيدة "دولور" التي تقرأ الطالع، وخطوط الكف؟

ضحكت "تانيا":

- إن الحياة شاقة. أليس كذلك؟

استطرد وهو يتبعها داخل المبنى:

- ستكون كذلك لك. هانا أخطرك، لأني لن أتركك مادمت لم تعديني بأن أراك هذا المساء.

- دعني يا "چين" - حقاً- ليس لدي وقت لرؤية اي شخص كان لا سيما أنت. إن كل دقيقة لا بد ان تكرس من الآن فصاعداً للاستعداد للامتحان؛ لأني عندما اغرق في كتبي فهو من أجل كسب عيشي. والآن وقد حرمت من السيارة اصبح وضعي اكثر تعقيداً.

صاح مبتسماً:

- لا على الإطلاق. عندي الحل: ساكون لك سائقاً. متى ستنتهين؟ في أي ساعة من بعد الظهر؟

- إني لست في احتياج إلى خدماتك، ولن اخبرك بهذا.

- حسناً جداً. في هذه الحالة لن افارقك، وساتعلم شيئاً ما بلاشك؛ لأن لي زماناً طويلاً لم ادخل الجامعة.

- لن تفعل ذلك.

- أوه! بلى.

تنهدت الفتاة:

- سانهي آخر محاضراتي الساعة الثانية بعد الظهر سالحق بك في مكان الانتظار. وعندما مال عليها ليقبلها شعرت "تانيا" كان كل جسمها يشتعل، ولما راته يبتعد اضطرت إلى الاستناد إلى الحائط؛ حتى لا تفقد توازنها.

لقد شعرت الفتاة انها وقعت في الفخ وان "الفكر الحر" قد بدا لها بعيداً.....

بعيداً جداً.

كان "چين" في انتظارها جالساً على حافة السيارة، ولما لمحها قفز على قدميه وأسرع للقائها، ثم حوط كتفيها بذراعه في حركة واقية.

همهم:

- لقد افتقدتك.

قالت وهي تبتعد عنه:

-اعفني من مجاملاتك. مطلوب منك - فقط- ان تعيدني إلى منزلي وليس اكثر.

اضاف وهو يبتسم:

- إنك رائعة.

- متى ستقوم بإصلاح سيارتي؟

دخلت "تانيا" السيارة لأن كتبها كانت تضايقها، ثم لحق بها "چين" واجابها:

- قريباً. لكن حالياً امامي مشروعات أخرى.

قالت ببرود:

- إن مشروعاتك- مما لا شك فيه - لا تخصني.

قل هذا لنفسك: إن وقتي لا يسمح بالتفريط في دقيقة واحدة التقي فيها باي رجل كان.

قهقه "چين"، وهو يقود:

- ادفع رهانا انك لم تتناولي طعام الغداء.

سالته:

- وكيف علمت؟

- ليس إلا بالنظر إليك. إني متاكد انك تتخلين عن وجبة من كل وجبتين.

اخذ "چين" يفحصها بدقة ثم قال:

- لا... إنك فعلاً جميلة جداً.

من تاثير نظراته لها احمر وجه الفتاة.

كانت تتساءل: كيف ستتصرف حتى تمنعه من الصعود إلى مسكنها؟

اوقف "چين" سيارته الـ BMW امام عمارتها. ثم التفت نحوها، واعلن:

- بما اني كنت اشك في انك سوف لا تاكلين فكرت في تقديم هذه

المفاجأة لك. أتمنى أن تعجبك.

لمحت "تانيا" ثلاجة رحلات في المؤخرة، فشعرت أنها دخلت الفخ. قالت معترضة:

- كان لا ينبغي القيام بكل ذلك.

- شيء بسيط. لا يتعدى "جمبري"، و"كابوريا" و"سلطة" و"زجاجة كوكا". لم أقبل أن أراك منهكة، ولا أقوم بإعداد شيء ما تتناولينه.

شعر "چين" بكسب حينما لم ترفض الفتاة وعندما دخلا إلى الشقة، شعرت "تانيا" بأن موجات كهربية قد سرت في المنزل كله حتى إنه قد خيل لها أن النباتات الخضراء تهتز.

أما عن القطين فقد شعرا في الحال باقتراب المأكولات: فاستقبلاهما استقبالاً حاراً وهما يحتكان في ساقيهما، ويدندنان.

- لماذا تشعر أنك مسؤول عن تغذيتي؟ إنني قادرة على العناية بنفسي بمفردي. وضع "چين" الثلاجة على المائدة.. والتفت إلى الفتاة وابتسامة رضا على شفتيه، ثم قال مازحاً:

- أتصدقين حقاً أنك كنت ستدعيني أصعد عندك إن لم أكن قمت بذلك؟

- لقد قضيت طول اليوم في تكرار العبارات التي يجب أن أوجهها إليك حتى أتخلص منك!

ثم انحنت على الأرض، وأخذت قطيها بين ذراعيها.... اقترب "چين" منهما؛ ليلاطفهما، ولاحظ أن أحدهما له ذيل ملوي، والآخر عنده خدش على فمه.

قال:

- من أين لك بهذين الوحشين؟

أجابت "تانيا":

- إنهما ليسا وحشين.

كانت "تانيا" مسرورة في داخلها من هذا التعليق لأنها فكرت هكذا:

إذا كان "چين" لايحب الحيوانات، فلن تكون هناك صعوبة في قطع كل علاقة به.

- هل هما شرسان؟

- إنهما لا يحبان الغرباء كانا متوحشين عندما احتضنتهما، وكانا شبه ميتين من الجوع، ولقد قطعت فترة طويلة في ترويضهما.

كانت "تانيا" تريد رؤية كيف "ين" "ويانج" سيستقبلان "چين"؟ لأنها كانت تثق في حساسية الحيوانات - لاسيما- القطط.

بهدوء قارب "چين" يده، وبعد أن شعر "ين" بلمسة أصابعه أخذ يقر تحت تأثير هذه الملاطفة، أما "يانج" فبعد دقيقة من الصمت خضع هو أيضاً بدوره ، ونجح امتحان القبول.

تمتمت "تانيا":

- لقد فات الأوان.

- هل أطلب منك العفو؟

- لا شيء. إنك لا تستطيع أن تفهم.

ثم بعد ذلك، وخلال بضع ثوان مكث كلاهما صامتين بلا حركة يتبادلان النظرات إلى أن لمس "چين" بطرف أصابعه شفتي "تانيا"؛ فادارت عينيها.

لو كان حاول أخذها بين ذراعيه لكانت عصته، لكن هذه اللمسة الرقيقة لم تضايقها بل عندما ابتعدت يده شعرت "تانيا" - وهوما دهشت له- أنها في فراغ، وكأنها مهملة.

استمر "چين" وهو جالس على بعد عدة سنتيمترات منها في أن يميل بهدوء عليها دون أن يلمسها، ويضع فمه على فمها.... كانت الفتاة تقشعر لهذه الحركة.

- هل تشعرين بما أشعر؟

ترددت "تانيا" لحظة. هكذا فهمت أنها ليست وحدها التي تشعر بتلك

الجاذبية- التي تفوق الطبيعة تقريباً - التي تربطهما. أخيراً حكت رأسها وكانت عيناها تلمعان بقوة.

ضمها "چين" إليه بحركة حانية، رفعت عينيها نحو عينيه العسليتين ذواتي الرموش السوداء الكثيفة.

فجاة ولا إرادياً أضاء وجهها ابتسامة عريضة مشرقة، فاجابها "چين" بمثلها في الحال.

قطع "چين" فترة الصمت هذه بقوله:

- منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها أتتني فكرة، وليس غيرها: أن أقبلك... كم أنت جميلة يا "تانيا"!.... كم أحبك!

ارتجفت الفتاة متبسمة لهذا الإعلان، وعجزت عن الكلام، كما أنها كانت تشعر بخفقان شديد في قلبها، وأن دوامة.. سحرية قد اعترتها، وأنها سوف تغرق فيها.

تمتمت حينئذ:

- الفكر الحر....إني في اشد الاحتياج إلى الفكر الحر.

وعندما بدأ "چين" في التمادي بان يغرق وجهها بسيل من القبلات الصغيرة، دفعته رغماً عنها، وقد جمعت كل قواها؛ حتى لا تستسلم للتجربة.

- لا، يا "چين". لا.

- لا تستطيعين قول لا، يا "تانيا". كم أرغبك!

إني لم أشعر قبل الآن بمثل هذا الانجذاب إلى فتاة.

استمر "چين" في النظر إليها، ثم بنبرة استجواب . قال: نعم.

أجابت الفتاة بإصرار:

- لا.

ثم أمسكت بيده، وقبلتها.

ابتعدت بعد ذلك عنه قائلة:

- انا آسفة، يا "چين". كان لا ينبغي ابداً أن اذهب إلى بعيد هكذا.

تنهد حينئذ الشاب بتنهدات بدت، كانها تخرج من أعماق روحه ، مرر يده في شعره الكثيف، ثم القى إليها نظرة استعطاف

قال بصوت أبح:

- إنك تحلمين دائماً برؤية شاب يبكي.

قالت مازحة:

- لو انك بكيت، أعتقد اني سانتحب.

- لماذا ترفضين حبي يا "تانيا" مادمنا نشعر- كلانا- بنفس الأحاسيس المتبادلة؟

- لأن ما يحدث عجيب جداً، وقوي جداً، إني خائفة يا "چين". واخشى من أن افقد تحكمي في حريتي.

- إني لا أجد في ذلك مبرراً للرفض، كما اني لا أجبرك.

استطردت:

- نحن حتى الآن لا يعرف أحدنا الآخر جيداً حتى نتمادى في تصرفاتنا. من جانب آخر فإنك غير مقدر لما أقوم به، وانا ايضاً لا استطيع ان اقدر تصرفاتك.... حتى الآن انا لا استطيع إعلان حبي... انا لا ارغب في تحمل نفسي للألم يا "چين".

اجابها:

- ولا انا. إني لست متمسكاً بذلك . والآن ليس امامي إلا ان أعود إلى منزلي، وان اغرق في حمام به ماء مثلج.

وقف يتاملها لحظة، وهو يقطب حاجبيه، ثم القى إليها ابتسامة ساخرة.

وأخيراً قال:

- إن شيئاً ما يدعو للغرابة يسري بيننا. اليس كذلك؟

- نعم وانا خائفة.

www.7akayma.com

قال مبتسماً : - إنها غلطتك. أنت التي قرأت لي الحظ على طريقة جدتك.

أفحمته "تانيا" بقولها:

- لو كنت قادرة على ذلك لحولتك إلى ضفدعة برية من اللحظة الأولى.

نهض "چين" مبتسماً:

- ربما لو اننا تناولنا "الجمبري" و "الكابوريا" لكنا نشعر بتحسن في أحوالنا.

خلع "چين" سترته، وألقى بها على الأريكة فما كان من القطين إلا أن أتيا، وناما عليها.

قالت "تانيا":

- يبدو انك كثيراً ما تمنيت اقتناء "چاكيت" من شعر القطط. افضل لك أن تعلقها على الشماعة.

- ما اسم هذين الوحشين؟

- "ين" و "يانج".

- هل أطلب منك العفو؟

بدأت الفتاة في الشرح:

- إنها اسس الديانات الشرقية. ذكر، وأنثى، إيجابي، وسلبي، عقلاني ، وجسداني.

اكمل "چين":

- منطقي، وخارق للطبيعة. ربما يكون أمامنا فرصة.

- إني أجهل ذلك.

حينئذ وجدت "تانيا" أن وجوده أصبح أمراً معقداً. لقد شعرت انها وقعت فريسة لمشاعر، وأحاسيس تختلف تماما عما كانت قد حددت لنفسها من موضوعية.

الفصل الرابع

قضيا بعد ذلك لحظات ليست بالقليلة- وجهاً لوجه- صامتين، ثم أمسكت "تانيا" بسترة "چين" وعلقتها على الشماعة.

قالت:

- وجب الآن أن نتناول الطعام؛ لأنه لا بد أن أنصرف للعمل.

كرر:

- تعملين؟

أجابت، وهي تفرد مفرشا ذا ورود على المائدة:

- نعم إني أعمل. أغلب الناس يعملون يا "چين". إن الجميع لا يستطيعون الحياة على مزاجهم مثلك.... كنت أعتقد أن وظيفة سمسار بورصة تفرض مواعيد محددة.

أجابها، وهو يخرج الأطعمة من الثلاجة:

- إنه مشروع جدي لوالدي وليس هناك من يجرؤ أن يؤاخذني

www.7akawyna.com

إذاتغيبت.

- إذن إنك تتصرف حسب هواك، وبكل هدوء. كم هو عملي!

- بالضبط لكن هذا لا ينطبق على عاداتي. غاية ما في الأمر انه انت التي أدرت لي رأسي.

جلس "چين" امام المائدة، ونظر إليها لحظةمقطباً حاجبيه.

- مع ذلك لم تستقري مثل قارئة طالع.

اليس كذلك؟

...كانت "تانيا" في هذه الأثناء تنظر إليه، وهو يقلب السلطة في الطبق "الكريستال"، ويصب لها كوباً من "الكوكا".

سألته:

- ولماذا اتنزه في زي غجرية إذا كنت لا أمارس مهنة عرافة؟

قال:

- لست ادري. في إمكانك غناء "كارمين" في الأوبرا. وبهذا أجد الفرصة للذهاب إلى هناك، والتصفيق لك.

- غير اني لا أجيد الغناء، فإن الأوبرا ستحتاج إلى وقت كبير. اما العمل عند السيدة "دولور" فهو من جانب يدر عليَّ مبلغاً لا باس به، ومن جانب آخر يترك لي أوقات فراغ كافية.

- ارى أن بشهاداتك هذه ، كان في إمكانك الحصول على عمل غير هذا.

حاول "چين" تخفيف ملحوظته هذه بابتسامة غير أن "تانيا" لمحت النبذ في صوته.

قالت:

- قد يفهم انك تفضل رؤيتي وانا أمارس اقدم مهنة في العالم كما سبق، وقررت ذلك بنفسك.

أجاب قبل أن يتجرع قليلاً من "الكوكا":

- على الأقل كنت سافهم.

أجابته بنبرة ساخرة:

- حقاً؟ هل كنت اصدق بمظهرك هذا، وعاداتك الحسنة هذه انك في احتياج إلى التردد على...

قاطعها بقوله:

- انا لم اقصد هذا بكلامي.

سُرت "تانيا" عندما رأته قد بدا يغتاظ، ومع هذا كانت على دراية بأن افكارهما تتفرع في موضوعات عديدة؛ لذلك هنأت نفسها على عدم اندفاعها.

- إن الظواهر النفسية تزعجك كثيراً.

اليس كذلك؟

اسرع "چين" بالإجابة:

- لا. مطلقاً غاية ما في الأمر لقد دهشت لرؤية فتاة مثلك تنحدر إلى مستوى قراءة خطوط اليد.

- لكن كثيرين يحبون ذلك إنه انت الذي الححت في ان اقرأ خطوط يدك مساء يوم الجمعة. انا لم الزمك بذلك بل بالعكس لقد رأيت بنفسك كم عارضت القيام به.

قال وعيناه تلمعان:

- كنت ارغب في أن تمسكي يدي. كنت أريد أن تلمسيني. إنه إحساس لذيذ لم اكن اعرفه حتى ذلك الحين. بحسب رأيك. ما تفسير ذلك؟

ضحكت الفتاة وقد شعرت بالحرج، وأجابته:

- لنبدأ بالكلام عما قرأته في كفك. عندي شعور باني لم اخطئ كثيراً. هل انا على حق؟

- كفى. كيف كنت تعلمين أشياء عني بهذا القدر؟ هل توجد بيننا علاقات مشتركة؟

اخبريني بالحقيقة.

- لا. إننا لا نتحرك في نفس الدوائر. لقد خمنت انك تمتلك مالاً وفيراً أوعلى الأقل انك من وسط ثري ؛ لأن كل شيء فيك يدل عنك.

- هذا التعليل لا يقنعني. ماذا يسمح لك بتأكيد شيء هكذا؟

- اعتقد انه انفك. إنه أرستقراطي، وكان كلمة "صفوة القوم" مكتوبة وسط وجهك

قال:

- وتقولين انا المشحون بافكار مسبقة.

تكفيك نظرة إلى أنفي لكي تحددي بل وتقرري من أنا.

- ليتنا نعود إلى مساء هذا اليوم. لقد تكلمت عن "سمسار بورصة"؛ لأن الناس المعتادين التعامل بالنقود، حتى ولو لم يكونوا هم أنفسهم، غالباً ما يتحركون في عالم الأموال.....

- اكملي... استمري.

- اما بالنسبة لتعلقك بمنزلك فهو أمر بسيط.

إن الديكور الذي فيه قديم، ويرجع إلى ذوق نسائي، وإن لم تكن قد قمت بأي تعديل فيه فذلك لأنه يحمل لك ذكريات غالية.

إنه موروث بلا شك. إن هذا المسكن لا يتلاءم معك. إنما احتفظت به من باب الحنين. من ذلك استنتجت أنك أثرت الحياة في طفولتك.

هنا اطلق "چين" تنهدات اطمئنان.

قال:

- هكذا قد تم كل التفسير. إني أتساءل:

لماذا لا تعملين كبوليس سري خاص؟

قالت "تانيا" مازحة:

- في زي غجرية. اعتقد انه لن يكون مناسباً

استطرد "چين":

- لكن كيف عرفت امر زواجي، ثم طلاقي؟

- لأن أصبعك مازالت به علامة خاتم الزواج. ومن بقائك بمفردك استنتجت انك مطلق ذلك انه عقب الطلاق يكون الشخص في حالة تتطلب وقتاً طويلاً؛ حتى يعود إلى حالته الأولى بغض النظر عمن يكون المتسبب في ذلك، أو من هو الذي صدرت منه المبادرة.

نظر "چين" إلى يده اليسرى ساهماً.

- منذ عدة أيام لم أعد أشعر بالوحدة يا "تانيا". لكن سؤال آخر. لماذا كلمتني عن زواج آخر؟ هل انت متاكدة انك كنت تقصدين امنية صادقة من جانبك؟

ضحكت الفتاة.

- إن خشوعك، وتواضعك يدهشاني دائماً.

آسفة إذا كنت قد خيبت ظنك ياسيدي العزيز إن أمامي اجتياز "الدكتوراه"، وأعتزم ممارسة عملي كاستاذة علم نفس قبل التفكير في حياتي الخاصة. وهذا سيحتاج إلىّ عشر سنوات إن لم تصل إلى عشرين.

تعجب "چين":

- عشرون عاماً!

- لا تنزعج يا "چين". خلال هذه الفترة ستكون قد تزوجت منذ فترة طويلة ، وبالتالي تكون قد نسيتني. وفي حالة ما يسمح لك إخلاصك بنسياني فإن ما تتمتع به من جمال الطلعة، وخلافه لا يمكن أن يدع الفتيات متغافلات عنك. هكذا قد قرات في خطوط كفك.

. ثم ختمت "تانيا" كلامها بابتسامة.

- على كل حال ليس في نيتي إعطاء أحد فرصة اقتناصي. وإذا كان هناك من سيقوم بذلك فهو انا لأني سبق، ووجدت فريستي.

اضاف "چين" هذه الكلمات وهو يلقي إليها نظرة ملحة.

قالت "تانيا":

- سنناقش ذلك بعد حصولي على الدكتوراه.

حالياً وجب ان انصرف. إن التاخير يضايق السيدة "دولور"، وقد يفقدها تركيزها:

- يفقدها تركيزها! لقد قلت لي: إن قراءة الكف ليست إلا خدعة.

-بالنسبة لي نعم. لكن بالنسبة للسيدة "دولور" لا. إنها محترفة، من أجل ذلك اعمل عندها.

- ثم اعادت غلق باب حجرتها قائلة:

- إني احاول أن اتعلم منها.

وعندما ظهرت "تانيا" في الألوان الصاخبة، والملابس الغريبة كان "چين" ينزع ما على المائدة ، وهو ينتظرها بفارغ الصبر.

قال لها في الحال:

- ماذا تتمنين معرفته من سيدة تستغل - ببساطة- سذاجة الناس بسرد خزعبلات؟

- إن السيدة "دولور" لا تستغل أحداً، ولا ترغم أحداً على الحضور عندها. البعض ياتي عندها من باب الفضول، لكن كثيرين ياتون لأن عندهم مشاكل حقيقية، وهي تساعدهم على حلها. ليس أبسط من ذلك.

جلسا على الأريكة وكان "چين" يستمع إليها في صبر، وهو يلاحظ القطين. وعندما انهت الفتاة كلامها، نهض، والقى إليها نظرة سوداء.

قال من فرط ضيقه:

- إنه بعيد عن البساطة. ولا تصدقي هذا.

ثم راته "تانيا" يتمشى في الحجرة، يذهب ويجيء بالطول وبالعرض، ففهمت حينئذ.

سالته في هدوء.

- هل عانى أحد محبيك من العرافين؟

بدا "چين" وكانه يطلب الاسترخاء، ارتمى على الأريكة، ووضع مرفقيه على ركبته، واخذ ينظر إلى الأرض.

أتت "تانيا" حينئذ، ووضعت يدها على كتفه.

- أتريد أن تكلمني عن ذلك؟

- إنه أمر قديم، وعديم الأهمية.

الحت الفتاة:

- كثيراً ماتكون أحداث الماضي ذات اهمية كبرى. ربما لو أنك وضحت لي حينئذ لتمكنت من فهم اعتراضك.

اجابها "چين":

- كلمة اعتراض ضعيفة في تعبيرها جداً.

لقد قضت والدتي حياتها في الانتقال من عرافة إلى فاتحة مندل؛ حتى تعرف كيف تحدد مصيرنا. وكان هذا سر قرارها باني ساكون راقصا. كان هذا ما يسمى بـ "الطالع" الخاص بي، وهذا حسب النجوم.

أخذ "چين" راحته مستندا إلى ظهر الأريكة، وهو يتنهد. بينما كانت "تانيا" تمسك بيده.

استطرد "چين" وهو يخفض عينيه على أنامل "تانيا" الرقيقة:

- توجهت إلى كل دجالي ومشعوذي الولايات المتحدة على امل إيجاد إجابات عن أسئلة لا أساس لها في الواقع، ثم توجهت إلى "أوروبا" وتركتني بمفردي في هذه الجزيرة مع اجدادي. كنت احب أمي لكنها كانت تقريباً تخيفني. في النهاية كان الأفضل لي أن أبقى مع جدتي.

- أسفة يا "چين" . الآن اشعر بان والدتك كانت تعاني من ارتباك عقلي.

- اليوم قد ايقنت ذلك. إنها بلاشك ماتت في ريعان شبابها؛ لانها لم تعرف كيف تجد معنى للحياة.

- لكن ماذا كان موقف والدك؟

- كان احد المنجمين الفلكيين قد اخبر والدتي بانه لا يوجد تكافؤ في برجيهما؛ لذلك اسرعت والدتي في طلب الطلاق ولذلك لم اعرف ابي. أما بالنسبة لأمي فقد بددت كل ثروتها على هذه الاستشارات الغبية.

هل فهمت الآن يا "تانيا" لماذا انا لا احتمل ان اراك مندمجة في هذا الوسط، وسط العرافين والتنجيم والتعلق بهذه القصص؟

كل هذا يزعجني، ولا يمكن ان اصدق ابداً، وهذا عن خبرة. إنها سذاجة كما تقولين.

- افهم ما تقول يا "چين" لكن ليس كل البصريين مشعوذين. بالتاكيد يوجد دجالون في كل مكان، لكن هذا لا يؤكد ان التنجيم غير قائم. لقد رايت السيدة "دولور" توجه اناسا يعانون من مشاكل ذهنية إلى أطباء نفسانيين؛ لأنها لا تستطيع القيام بحل مشاكلهم. إنها جادة جداً.

قال "چين":

- يبدو لي اننا لن نتفق في الراي. ومهما كان الامرفقد وجب علي أن اعترف بانك غجرية رائعة، وأن درجتك في العرافة واحد.

- مع ذلك فانا اجد ان هناك صلة بين علم النفس، والتنجيم.

ثم اكملت دون أن تعطيه فرصة للإجابة:

- وجب ان انصرف الآن. لماذا لا تاتي معي يا "چين"؛ لترى السيدة "دولور".

ربما تفاجا!

قال بجفاف:

- أسف.

ولما نهضا لا طف "چين" بهدوء وجنتيها، ثم ضمها إليه.

همس في اذنها:

- في اي ساعة ينبغي ان آتي لاصطحابك؟

قالت معترضة وهي تتخلص منه:

- شكراً يا "چين". شكراً من أجل كل ما قدمت لي اليوم. لكن لا داعي لمجيئك. السيدة "دولور" سترافقني.

-لكني متمسك بذلك.

- لا تلح يا "چين". لقد حان الوقت لكي تتوقف عن الاعيبك هذه.

تنهد الشاب خاضعاً وقال:

- متى سأراك؟

ترددت "تانيا" لحظة. إنها كانت تعلم انه كان من المفروض أن ترفض لكنها لم تجد الشجاعة الكافية لذلك.

- إن السيدة "دولور" لا تقوم بالكشف يوم الأربعاء. إذن ساكون حرة بعد محاضراتي.

صاح:

- وليس قبل الأربعاء؟

- إما قبول، وإما رفض.

اضطر "چين" أن يخضع، وبعد ملاحظة اخيرة للقطط توجها إلى الـ"BMW" والتي كانت بعد قليل تقف أمام مسكن السيدة "دولور".

كانت العرافة تمارس مهنتها في منزل اسرتها، وهو يرجع إلى عدة اجيال. وكان مكتوبا على واجهته لافتة من النحاس عليها:

السيدة "دولور" "لوكليرو" -عرافة- بالحجز.

دخلت "تانيا" إلى غرفة الاستقبال ذات الحوائط المطلية باللون الرمادي. كانت اريكة وبعض المقاعد ذات المساند المريحة في انتظار الزوار الذين كانت تستقبلهم الفتاة مسرورة. وكانت "تانيا" تحاول احياناً قراءة خطوط الكف للزبائن في انتظار دورهم.

اجتازت بعد ذلك "تانيا" الستر المصنوع من اللآلئ الذي كان يفصل مكتب السيدة "دولور" وكانت مكتبات عالية تغطي الحوائط. وكانت مليئة بالمؤلفات الخاصة بعملها..

www.tahawyna.com

كان بالغرفة- ايضاً- منضدة مستديرة ومقعدان مكسوان بالقطيفة الوردية، واريكة كانت السيدة تجلس عليها ممسكة بجريدتها، وتتصفحها.

بادرتها السيدة المسنة بقولها:

- صباح الخير ياعزيزتي. لقد افتقدتك خلال عطلة نهاية هذا الأسبوع. هل تحسنت حالتك بعد الحادث؟

أجابت "تانيا" وهي تجلس بالقرب منها:

- هل بالجريدة أخبار مهمة؟

تنهدت السيدة "دولور":

- لم يجدوا الطفل المخطوف حتى الآن. إني مشفقة من كل قلبي على أمه المسكينة، وأرثي لحالها.

- أتعتقدين أن البوليس سيطلب خدماتك؟

- ممكن. ولقد حدث ذلك فيما مضى. لكن عامة إنهم لا يلجئون إلي إلا في آخر لحظة بعد كل المحاولات.

- هل تظنين انه في استطاعتك مساعدته؟

- هذا ما أجهله. انا لا استطيع معرفته إلا إذا لمست شيئاً يخص الطفل.

طوت السيدة صحيفتها وهي تتنهد.

كانت "تانيا" تراقب بنت الستين بإعجاب؛ إذ كانت في رداء بسيط من القطيفة الزرقاء نموذجاً للأناقة، والذوق الرفيع.

- منذ دخولك يا "تانيا"، والجو أصبح محملاً بشحنة كهربية. ماذا حدث لك؟

منذ عامين كانت "تانيا" تعتبر هذه السيدة صديقة لها. وكانت تضع ثقتها كاملة فيها، ولا تتردد في إحاطتها باخر أحداث حياتها.

سألتها:

- أتعتقدين في قراءة الطالع؟

- الا تفكرين يا "تانيا" انه يختص بجاذبية طبيعية؟

- ممكن، لكن كثيراً ما انجذبت إلى شبان دون أن أشعر بهذا الرباط الخفي الذي يضمنا.

قالت السيدة "دولور" وهي تلقي إليها نظرة ماكرة:

- كنت دائما تودين معرفة ما هو الارتباط بشخص آخر. هانت الآن تختبرين ذلك.

سألتها "تانيا" في مرح:

- تقصدين أن هذا هو ما تشعرين به مع كل واحد من زبائنك؟

تظاهرت السيدة بانها اغتاظت و قالت لها:

- قليل من الاحترام. لكن هل انت واثقة من انك لم تقابلي هذا الشاب في الشارع، وانك تتذكرينه في غفلتك؟ هذا يوضح إحساسك بانك تعرفينه من قبل.

- لا. لو كنت رايت "چين" ما كنت نسيته.

شيء عجيب. كم تمنيت منذ بقائي بالقرب منك أن ألتصق باحد، وها هو يتحقق في وقت لم اكن اتوقعه مطلقا. إن لدي إحساساً بانني اعرفه من قبل، وإنه في استطاعتي قراءة كل افكاره. لماذا يجب أن يكون "چين"؟

- ربما تكون له موهبة تبادل الشعور. قالت "تانيا" بنبرة مرحة:

- مسكين يا "چين". لو كان سمعك، لا عتبر ذلك إهانة. غير أن التحدث معك سيسمح لي برؤية الأمور بوضوح. إن مراكز الاهتمام بيننا متباعدة جداً، وسوف لا تتحقق لي سعادة معه. إني افهم رفضه للتنجيم، لكن هذا لا يكون احد الأسباب الذي يدفعني إلى التخلي عن ابحاثي. ويجب أن اركز ؛ حتى انجح في دراستي. إنى مدينة بذلك لوالدي، ولكل من ضحوا من اجلي؛ لبلوغ هذا الهدف.

www.7akawyne.com

توقفت "تانيا". ثم شعرت بالدموع تملأ عينيها.

قالت:

- أنا لا أجد حلا آخر. إلا أن اضع حدا لعلاقاتنا يوم الأربعاء.

قالت السيدة "دولور":

- ممكن.

- أنا لم اكلمك عن الباخرة التي لمحتها منذ أيام. أليس كذلك؟ كم كانت جميلة! إنها تُدعى "الفكر الحر" كان على متنها شاب رائع وكان ضاحكاً. هذا هو بالضبط ما أريده وما أنا في احتياج إليه: فكر حر، وضحك.

قالت العرافة:

- إني افهمك.

- إن "چين" آخر من يكون في إمكانه منحي كل ذلك ياسيدتي. إذن لماذا يجب أن التقي به؟

- تعالي. اجلسي بالقرب مني يا "تانيا"، واعطيني اليد التي امسكت بيده.

أطاعت الفتاة، ونظرت إلى صديقتها وهي تتمركز، ثم بدت نظرتها وكأنها تذهب إلى بعيد بينما شفتاها تتمتمان بكلمات غير مسموعة، وكأنها موجهة إلى متحدث غير مرئي.

تمتمت السيدة أخيراً:

- إني أتساءل: لماذا لم يخبرك به؟

- لم يخبرني بماذا؟

- اعتبري أن هذا الشاب معقد اكثرمما تظنين. احترسي من قطع صلتك بما انك سوف لا تعرفينه افضل من ذلك.

- ماذا ينبغي أن اكتشفه؟

- إني لست هنا لكي اكتشف عن اسراره.

عليك أنت اكتشاف ما قد اختار أن يخفيه عنك، وهذا سيكون لك بمثابة تدريب ممتاز.

ألحت "تانيا":

- أرجوك أخبريني بكل شيء.

- لا. لكن لا تقللي من تقديرك لـ "چين" مادمت لم تتعلمي كيف تعرفينه أفضل من ذلك.

www.7akawyat.com

الفصل الخامس

عندما انتهت "تانيا" يوم الأربعاء من محاضراتها، خرجت وفي ذهنها فكرتان متعارضتان.

كان إدراكها الواعي يوحي إليها بقطع الصلة مع "جين". بينما فضولها يدفعها إلى اكتشاف ما رأته السيدة "دولور"، وما أراد "جين" إخفاءه عنها.

اضطرت الفتاة إلى الاعتراف بأن قلبها كان يخفق من الاشتياق لرؤيته بفارغ الصبر.

ومع ذلك عندما وصلت إلى مكان انتظار السيارة كانت الـ"BMW" غير موجودة. نظرت الفتاة إلى ساعتها، فوجدت أنها قد تجاوزت الثانية بعد الظهر. أين "جين" إذن؟

ربما يكون قد نسي، ربمايكون قد رفض مقابلة من يكون مقرباً من العلوم السحرية أو الخفية، على الأقل فهو لم يتقابل مع فتاة ينسجم

معها هكذا.

ومهما كان تفسير غيابه، فقد شعرت "تانيا" بالحزن، وخيبة الأمل.

وفجأة صاحت "تانيا"، وابتسامة مشرقة تضيء وجهها:

- "جين". لقد اعتقدت أنك نسيت.

كرر:

- نسيت. إني لم أكف عن التفكير فيك ياعزيزتي الغجرية، يامربكتي.

كانت ملابس "جين" - وهي عبارة عن "جينز" ازرق، وقميص مخطط- تظهر قوامه الفارع، وصدره القوي. وعندما احاط كتفيها بذراعه اقشعرت "تانيا" بينما كانت سحابة من ماء "الكولونيا" ذات الرائحة الذكية تنتشر في المكان.

جذبها "جين" إليه ونظر إلى عينيها، ثم مال عليها، وقبلها.

تمتم:

- أعتقد أنه من الأفضل أن نغادر هذا المكان وقد بدأنا نتحد.

أجابت "تانيا" وهي تبتعد عنه رغماً عنها:

- موافقة تماماً، لكن أين الـ "BMW"؟

- في المستشفى تعالج من جراحها. لكن معي سيارة أخرى في الانتظار.

- على ما أعتقد "رولزرويس".

أجاب وهو يتوقف أمام سيارة "تويوتا" حمراء صغيرة في حالة محزنة:

- لا على الإطلاق. لقد فكرت في أن هذه سوف تعجبك.

نظرت "تانيا" طويلاً إلى السيارة التي تشبه "ڤيكتورين"، وكأنها تنظر إلى أخت، وقالت

- لكن أين وجدتها؟

- في جراج. في الحال وجدت أنها مشابهة لسيارتك: لذلك انتهزت

الفرصة.

صاحت الفتاة:

- غبي. أي وكالة تؤجرمثل هذه السيارة الهالكة؟

- أرخص وكالة. لقد قلت: إني لست ثرياً. وأن كل ما أملك من ترف فهي الـ "BMW". وإذا رغبت في ذلك ففي إمكانك الاحتفاظ بهذه السيارة إلى أن اتمكن من استبدالها.

في انتظار شراء أخرى.

- لكن يا "چين" ليس هنا ما يبرر استئجارك سيارة من أجلي.

- ولم لا؟

- لكن لا أستطيع قبول هذا. إننا لم نتعارف إلا منذ أسبوع واحد.

هل تحاول شرائي؟

- إني أحاول -فقط- أن اكون لطيفاً.

- لقد تأثرت.....لكن....

- لم تعتادي قبول هدايا. أليس كذلك؟

أتجدين صعوبة في قبولها؟

- وماذا دفعك إلى هذا القول؟

أجاب وهو ينظر إلى يد "تانيا" الموضوعة على ذراعه:

- مجرد إحساس. سحبت "تانيا" يدها في الحال. منذ أن عرفت "چين"، وهي تركز كل طاقتها في قراءة أفكاره. غير أنه لم يصل إلى أعماقها حتى يعمل مثلها.

قالت :

- ماذا تنتظر حتى تعطيني درساً في قيادة هذه السيارة ؟

فتح "چين" باب السيارة وادخلها فيها.

ثم أعلن:

- سترين الآن. أن تجربيها هو أن تقتنيها.

بعد قليل أوقف الـ "تويوتا" أمام "تانيا"، وتبع الفتاة إلى مسكنها. وما إن اجتازا العتبة حتى أسرع "ين" و "يانج" للقائهما، والاحتكاك بسيقانهما.

وعندما كانت "تانيا" تضع كتبها على المائدة سألها "چين":

- كيف ستقضين فترة ما بعد الظهر؟

- لست أدري . ماذا تقترح ؟

ابتسمت عندما رأته يلاطف القطين. وعندما انتصب، كانت عيناه تلمعان بطريقة عجيبة.

اقترب منها بعد ذلك وأحاطها بذراعه.

تمتم:

- عندي فكرة وأعتقد أنك تشاركيني إياها أيتها الغجرية الجميلة.

- كيف؟ أعلم تماماً أنه كان ينبغي أن أرفض هذه السيارة. والآن علي أن أتحمل النتائج.

لكن انظر لي يا "چين" ، إني كل شيء ما عدا "جذابة".

- كيف تقولين هذا؟ إني أعلم أنك لست جذابة فقط إنما ساحرة. أما بالنسبة للسيارة، فهي ليست حجة لأي منا .

ثم أضاف:

- أعلم تماماً ما تشعرين به.

- إذا كنت تعرفني جيداً، وجب عليك أن تفهم أني لا أعتزم الاسترسال في علاقة لا أرغب فيها.

- من يقول هذه الكلمات؟

- إنه أنا.

- أنا لا أصدق قط أني لا أجذبك؛ لأني في الواقع الاحظ تماماً أني أعجبك.

إذن أخبريني: لماذا تسعين إلى رفضي؟

وبما أني فتحت لك قلبي ذات يوم وجب عليك الآن أن تصارحيني بالسبب.

ظلت "تانيا" ساهمة للحظات. ثم قالت:

- إنك على حق. إذ إن لك مكانة في حياتي، ومن حقك معرفة لماذا أرفض؟ ولماذا يجب ألا يرى كل منا الآخر بعد الآن؟

اقترح "چين":

- هلم نجلس على الأريكة.

وقبل أن تجلس "تانيا" بالقرب منه ، ذهبت، وأحضرت "البوم" صور فوتوغرافية، ووضعته على المائدة المنخفضة، ثم أبعدت النظارة المكبرة التي كانت توجد عليها دائما .

فتحت "الألبوم" وأرته صورة رجل، وصورة سيدة.

ثم أعلنت:

- والدي ووالدتي : إني لم أرهما إلا في الصورة.

كانت الكلمات تصدر منها- من حلقها المعقود- بصعوبة.

فاقترب منها "چين"، ووضع ذراعه حول كتفيها لكي يواسيها.

قال بهدوء:

- حدثيني عن كل شيء.

- إن والدي يعيشان في "بولونيا" في "فارسوفي".

عندما ولدت، كان والدي كاتبا شابا غير أن الحكومة اعتبرته متلفا، وحكمت عليه بالسجن سبع سنوات وعندما تحقق والداي من أنهما لن يستطيعا تحقيق حياة حرة قررا عبورالحدود... تخليا عني لكي يهباني الحرية مع أسرة كانت قد هاجرت إلى "الولايات المتحدة"..... لقد خاطر عدد كبير بحياتهم حتى يسمحوا لي بالخروج من "بولونيا". كان عمري وقتئذ سبعة شهور، وكنت الفرحة الوحيدة لوالدي. لقد احتاجا إلى شجاعة نادرة للقيام بهذه التضحيات.

قال "چين" مجاملاً :

-لا بد أنك شعرت بالوحدة.

- إن أفراد الأسرة التي كنت فيها كانوا مثال الحب، واللطف. كما أني كنت أراسل والدي بانتظام.. كانا دائما يرددان أنهما يحباني ، وأنا أيضاً أحبهما، وكاني كبرت بالقرب منهما والآن هل تشعر كم أنا مدينة لهما؟

قال ساهماً :

- وتجدين نفسك ملزمة بالنجاح في دراستك لكي تردي لهما تضحياتهما. إن حياتك لم تكن هادئة.

- نعم، ويجب أن أنجح. إن الحياة لم تكن سهلة بالنسبة لي. إن الناس الذين تبنوني كانوا في عمر والدي تقريباً، قد توفوا منذ بضع سنوات. لم يكن لديهم إلا حبهم ليقدموه لي لأنهم لم يكونوا أثرياء. من أجل ذلك أتممت دراستي بفضل المنح، وبالعمل الشاق.

- في هذه الحالة لا ينبغي أن ترفضي هذه السيارة.

إن تفكيرك في أنه عليك أن تديري كل أمورك بمفردك يعتبر عجيباً جداً.

قالت "تانيا" معترضة:

- "چين". إنك لم تستمع إلي، لقد أوضحت لك لماذا يجب علينا ألا يرى كل منا الآخر الآن . إن لدي مسؤوليات جساما، ويجب أن أحققها.

- بالعكس. إنك في احتياج إلى من يؤازرك، ويحميك في هذه اللحظات الصعبة.

ختاماً لكلامه حك "چين" رأسه كمن يقول:

إن الحل عنده، ثم أخذ يتصفح "الألبوم".

وعندما توقف عند صورة سيدة مسنة تعلو وجهها التجاعيد سألها:

- جدتك الغجرية؟

www.rahawyna.com

- نعم. إن أجدادي أتوا - مرة واحدة- لرؤيتي عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري.

كم كانا محبين وعطوفين!

أغلق "چين" "الألبوم"، وأمسك بالنظارة.

فجأة قطب حاجبيه، وهو يقلبها بين أصابعه.

- إذا كنت يا "تانيا" - بحجة أنك- مضطرة إلى التخلي عن الحب والمتعة من أجل والديك اللذين ضحيا من أجلك، فإلى متى ستبتعدين عن الشباب؟ أتفكرين في قضاء باقي أيامك منفردة؟

توسلت إليه الفتاة:

- لا تضايقني يا "چين". أرجوك.

- أنا لا أضايقك. أنا غاية ما في الأمر أقدم لك فرصة الاستفادة من الحياة، ولو بقدر يسير؛ لذلك أرى أنه من أجل الاحتفاظ بتوازنك -أنك محتاجة إلي، وإلا فستجدين نفسك غارقة في العمل حتى تنسي نفسك تماماً.

إنك شابة يا "تانيا"، وشابة مرغوبة.

إن اقتراح "چين" كان مغرياً إلى حد كبير.

كانت "تانيا" تعاني من الوحدة منذ زمن طويل لدرجة أنها لم تكن لديها رغبة في الموافقة.

غير أنها جمعت كل شجاعتها ونهضت، وأعطته ظهرها، ثم قالت وهي تلتفت:

- إني في احتياج إلى "الفكر الحر".

دهش "چين" وقد بدا ذلك في نظرته. سألها:

- لماذا تتكلمين عن "الفكر الحر"؟

- لأن هذا هو ما يلزمني.

فحصها الشاب ثواني، ثم صب اهتمامه على النظارة المكبرة، وعاد

إلى الفتاة. فجأة أتته فكرة وأضاءت وجهه.

- ماذا يوجد خلف هذا الباب الزجاجي؟

- شرفة. لماذا؟

نهض "چين" وذهب ليفتحه بينما كانت "تانيا" تمسك بالقطين اللذين كانا يحاولان الفرار

- ماذا تفعل يا "چين"؟

- أجد هذه الشرفة ممتعة.

كان "چين" قد اكتفى بهذه الإجابة، وهو يستند إلى الدرابزين لكي يتأمل الخليج.

قالت "تانيا":

- كنت أعرفك: بسيطا ومتواضعاً وتقياً ومشحونا بأفكار مسبقة؛ لكني كنت أجهل أنك تراقب الشرفات.

- اذهبي وارتدي شورتا؛ لكي نتنزه. موافقة؟

- موافقة.

انصرفا في مرح، وسارا بطول الشاطئ ثم اتخذا طريق الجمرك الممتد بطول الساحل ماراً بالأرض المزهرة. وكانت سفن عديدة تنزلق على الجسور القائمة الخاصة، غير أن "تانيا" كانت لا تلاحظ شيئاً مما حولها من فرط إحساسها بالسحر الذي يجمعهما مرة أخرى.

فجأة تراءى أمام عينيها الشيء الوحيد الذي استطاع جذبها من هدوئها، وسكينتها. فصاحت وهي تشير بأصبعها:

- انظر!

أجابها "چين":

- أنا لا أرى سوى سفينة.

قالت مصححة:

- إنها ليست سفينة إنه "يخت"

- اعتقد انك تركزين على اليخوت كما افعل انا بالنسبة للشرفات إلا إذا كان هذا التركيز على ملاكها....

لم تعد "تانيا" تتذكر جيداً الشخص الذي لمحته منذ عدة أيام على الكوبري، غير انها كانت تذكر- فقط- انه كان جميلاً ، وضاحكاً.

قالت مازحة:

- هيبة الزي.

- آه. نعم، وكيف كان زي هذا الشخص؟

- انيقا.

اقترح "چين":

- هيا بنا نرى هذا اليخت. تعالي نلقي عليه نظرة.

- لا نستطيع القيام بذلك يا "چين"، لانهم إذا رأونا على ظهره سوف يشكون في اننا نبغي سرقته.

- سرقته ! فكرة ممتازة. تعالي نقوم بجولة في البحر.

- ارجوك يا "چين" تعقل، مع ذلك فإن هناك على ظهره رجلين.

القت "تانيا" نظرة خاطفة على الشخصين الواقفين، واكتشفت انه ليس بينهما من يشبه الشخص الذي كانت راته في المرة الماضية.

قال "چين" مؤكداً:

- إني متاكد انهما لن يجدا اي غضاضة في تفحصنا لهذا البناء.

وفي هذه اللحظة شعر احد الرجال بهما فناداهما:

- سلام يا "چين". كيف حالك؟

كانت "تانيا" تقف بعيداً مندهشة، وكان يلزمها وقت طويل لفهم الموقف.

وقفت تنقل نظرها من الشخص المجهول إلى "چين" عدة مرات، وكان هذا الاخير يبتسم ابتسامة بريئة.

رفعت راسها نحو الكوبري العائم الخاص حيث كانت السفينة "الفكر

الحر" ترسو. وبالتعرف على مسكن "چين" تكشفت الحقيقة في ذهنها.

حينئذ القت الفتاة إليه نظرة؛ وشعرت بالحمرة تعلو وجهها.

- إني متاكدة أن هذا "الچينز" يخفي ركبتين مفرطحتين.

ابتسم "چين":

- لا على الإطلاق إن ركبتي جميلتان جداً. إنك تعلمين ذلك جيداً بقدر ما اعلمه تماماً لاني حسبما اتذكر جيداً انك استطعت رؤيتهما ذات يوم. اماعنك فاعتقد ان نظارتك المكبرة كانت تخفيك اكثر من لباس البحر الذي كنت ترتدينه حينئذ.

أجابت:

- كنت انظر إلى السفينة .

أمسك "چين" نفسه عن الضحك، وقال:

- وكم أحببت طبع الحسن الموجود أعلى كتفك اليسرى.

- إنك كنت تعلم كل شيء منذ اللحظة الأولى التي رايتني فيها بعد الحادثة. لقد علمت حينئذ من انا وحاولت الاستفادة، بذلك.

- خطأ. كيف كنت أستطيع معرفتك إذ كنت قد رايتك بلباس البحر، وبعد ذلك متخفية، متنكرة في زي غجرية؟ وانت هل عرفتني؟

اعترفت الفتاة:

- ونفس الشيء فيما يتعلق بك.

- لا. كنت لا أستطيع رؤية وجهك. إن المنظار كان يخفيه.

- على كل إني متمسكة بما اعلنت أن ركبتيك مفلطحتان. إنه أول شيء رايته.

صمتت "تانيا" لفترة، ثم انطلقت في الضحك لا إرادياً.

لقد فهمت حينئذ ما راته السيدة "دولور" ولم تشا أن تكشفه لها.

اطمان "چين" عندما شعر ان "تانيا" تاخذ الأمور من الجانب الطيب.

ابتسم "چين" وقال:

- كنت تطلبين "الفكر الحر". حسناً ها هو. اتريدين زيارته؟

- بكل سرور.

ولما تواجدا على ظهر اليخت استطرد "چين":

- أقدم لك الطاقم: "جاك"، أندي "تانيا زيدزياك" والآن بعد أن تمت عملية التعارف، لماذا لا تذهبين لقضاء باقي يومك في المدينة؟

ابتسم "جاك" و "أندى". وما هي إلا دقائق، ولم يكن على ظهر "الفكر الحر" سوى "چين" و "تانيا".

الفصل السادس

- حسناً ها نحن معاً.

ابتسم "چين" وهو يمد لها يده.

نظرت "تانيا" إلى أصابعها وهي تختفي في يد الشاب الكبيرة البرنزية، ثم ادارت رأسها. وكان المحيط- ماوراء البحار- يتلألأ تحت أشعة الشمس التي يلاطفها ريح خفيف.. وكان اليخت يتارجح على تتابع الأمواج تحت اقدام الفتاة.

اخيراً قالت الفتاة:

- إنك لست بالبساطة التي كنت اظنها. أليس كذلك؟

- إنك تقومين جيداً بدور الفتيات الغامضات، لست أدري لماذا لا احتفظ بأسراري الصغيرة؟

حسناً يا "تانيا" بم تودين البدء في زيارتك؟

- أريد رؤية كل شيء.

www.zahrawyna.com

كرر "چين"

- كل شيء. على ما اذكر انه سبق لك، ورأيت كل شيء من خلال نظارتك المكبرة

قاطعته:

- كنت اتكلم عن السفينة.

غير أن المفهوم كان يعيد إلى ذاكرتها صورة هذا المتنزه الرائع. ويالها من صورة مربكة!

بابتسامة ساخرة قادها "چين" نحو الدرجات القلائل التي كانت تؤدي إلى كبينة قيادة المركب.

ثم أعلن في افتخار، وهو يشير إلى المعدات الإلكترونية:

- ها "البوصلة"، "الرادار"، السوناروها"، "دفة الملاح".

وضعت "تانيا" يديها على العجلة الخشبية الكبيرة معجبة بالكوبري الذي كان في مواجهتها وهو غارق في الشمس.

جاء "چين"، ووقف خلفها واضعاً يديه على يديها. كان في استطاعة الفتاة أن تشعر بانفاسه قريبة جداً منها.

تمتم "چين":

- عبثا . لقد أتيت لكي تقلبي كياني، وتقومي بغزو قلبي، وتلحقي به الضرر.

سألته وهي تتخلص من ذراعيه اللتين يحوطها بهما:

- ما رأيك في القدر؟

قال وهو يرفع رأسه:

- كلام خاطئ، خرافات

- مع ذلك يبدو لي أنه من الصعب أن أصدق أن لقاءنا ليس سوى مصادفة بسيطة.

- ولماذا إذن؟

- إني لم أخبرك بما جاء به حظي مع النجوم اليوم: انتبه! اليوم يدخل الحب حياتك.

أخذ "چين" يقهقه.

استطردت "تانيا":

- اتخذ قليلا من الجدية، واصغ إلي. إني بعد قراءة هذه السطور لمحتها على "الفكر الحر"، ولا إرادياً تمنيت لو انني عشقت أحدا فليكن أنت.

ابتسم "چين" ووضع يده عليها.

ثم صاحت "تانيا":

- لا تبتهج، ولا تدع فرصة لراسك بان يدور. إنك صدمت سيارتي في نفس الليلة، وهانا أقاوم محاولة الابتعاد عنك.

التفتت "تانيا" لكي تواجهه، وأحاطت عنقه بذراعيها.

- إني لا أستطيع التعليق على الطريقة التي تدافعين عن نفسك بها في هذه اللحظة.

- انا لا أستطيع مقاومتك، ومقاومة القدر في آن واحد.

- ليس للقدر شان في ذلك.

- إذن كيف تفسر أن كلينا شاهد الآخر من خلال النظارات المكبرة في ذات الوقت ثم نلتقي على نفس الطريق بعد ذلك؟ إنه أمر غريب، سوف تعترف به فيما بعد.

أردف "چين":

- إنه رائع وليس غريبا. أخبريني هل كانت أول مرة تراقبين فيها السفن؟

- لا. إني كثيراً ما أفعل ذلك، لكن.

- في هذه الحالة، من البديهي أن يكون "الفكر الحر" قد جذب انتباهك. إنه مبنى رائع.

- بالضبط. وكيف تعلل انه ملكك في حين انك تدعي انك ليس لديك مال؟

شرح لها "چين":

- أمر غاية في البساطة. هذا لا يرجع لي إنما يرجع إلى جدي. إن جدي طاعنان في العمر. وهما الآن في دار المسنين. وقد ترك لي جدي اليخت والمنزل، وإدارة كل اعماله.

- غير أن هذا العمل لا يرضيك اليس كذلك؟

- لست مولعاً به. غير اني لا أريد التفكير فيه حالياً؛ لاني أريد التفكير.. لاني افضل التفكير في كلينا: إن الحادثة التي جمعتنا يسهل شرحها.

- أريد سماع ذلك حالاً!

قال "چين":

- في هذه الليلة، بعد ربط سفينتي ، بدلت ملابسي على عجل، أخذت الـ "BMW" التي كنت قد حجزتها من قبل، ثم توجهت لتناول العشاء مع المحامي، وعند خروجنا من المطعم كانت الساعة نحو التاسعة والنصف أي نفس اللحظة التي تغادرين انت فيها مكان عملك. وبما أن الجزيرة صغيرة جداً، ولا تتضمن إلا طريقين رئيسيين، فليست هناك غرابة في اننا تقابلنا. المصادفة الوحيدة هي اني كنت غاضباً اثناء قيادة سيارتي، ومن جانبك كانت فرامل سيارتك مفكوكة.

كل هذا يعد منطقيا. وبالنسبة لي، فإني أعتبر هذه الحادثة إحدى كبرى فرص حياتي.

- أنت تتكلم عن الفرصة، والحظ وانا اتكلم عن القدر، والمصير لأن...

عجزت "تانيا" عن تكملة كلامها؛ لانها فوجئت بـ "چين" وهو يطبع على شفتيها قبلة حانية.

شعرت "تانيا" في هذه اللحظة بانها فريسة إحساس غريب لا

تستطيع مقاومته، وإن كانت لا تجرؤ، على إعطائه اسم الحب.

سألته:

- هل الأبواب تغلق بالمفتاح على سفينتك؟

وهل نحن لا نتعرض للانزعاج؟

- أقفال، مزاليج . هل انت مستعدة لرؤية كل شيء الآن؟

أجابت:

- كل شيء.

تركا مكان تشغيل اليخت، نزلا في أعماق "الفكر الحر" العجيبة. دهشت "تانيا" عندما لاحظت الترف الموجود به، وكانت لا تتوقع أن يكون موجوداً في مثل هذا المكان.

اما بالنسبة للديكور فكان رزيناً لا يبرزه إلا صورتان فوتوغرافيتان مكبرتان لحوتين.

كان "چين" من حين إلى آخر يقبل "تانيا"، وكانت الفتاة قد بدأت تشعر بميل شديد نحوه

تمتم "چين":

- "تانيا" إني حتى الآن لم ارغب في فتاة كما ارغب فيك. لا بد أن تكوني لي.

- اوه يا "چين" انا ايضاً أريد ذلك.

رفعها "چين" بين ذراعيه، وحملها إلى الكبينة .

ورغم أن الغرفة كانت صغيرة إلا أنها كانت مزودة بسرير كبير عليه غطاء نظيف أزرق. وضعها عليه، وجلس عند قدميها يتبادلان أحاديث متنوعة مع شعور بانهما ليسا اثنين إنما روح واحدة.

كانت أمواج المحيط تهدهدهما دائما غير انهما كانا لا يتحركان. كانا ينصتان إلى خفقان قلبيهما، لم يجد النعاس سبيلا إلى جفون الشابين بل كانا قد قضيا ليلتهما هكذا إلى أن لاح النهار، وتسللت أشعة

الشمس الذهبية من كوة السفينة، وأغرقتهما.

قال "چين"

- ماذا فعلت بي يا ساحرتي، يا عرافتي، يا قارئة الطالع؟

رفع "چين" خصلة شعر كانت تنزل على جبينها. عمق النظر في عينيها الصافيتين كمن يسعى للبحث عن إجابة مستحيلة.

ثم استطرد :

- بالقرب مني يا حبي أشعر أني في أماكن ساحرة. ترى هل هذه هي الجنة؟

ابتسمت "تانيا" وسط الدموع، وأجابته:

- "چين". أنا لم أكن أعلم ما أطلب عندما تمنيت "الفكر الحر". قد أكون جزءاً منك.

- وأنت أيضاً لك هذا الإحساس

- أعتقد أننا نشترك في نفس المشاعر.

- إن هذه العلاقة تخيفني.

- لماذا تقلقين؟ ألسنا سعداء ؟

- إنك على حق.

... مالت "تانيا" برأسها على "چين"، كانت تسمع دقات قلبه، وتظنها دقات قلبها. أخذ "چين" يلاطف -بهدوء- خصلات شعرها. إلى أن أتى صوته يخترق السكون:

- أحبك يا "تانيا". إنك تعلمين ذلك. أليس كذلك؟ هل تتزوجيني يا "تانيا"؟

حولت الفتاة عينيها الواسعتين، ولاطفت وجنتيه، ثم أجابت:

- نعم أعلم أنك تحبني، وأشعر بذلك، وأنا أيضاً متمسكة بك.

ثم استطرد "چين" بعد عدة ثوان:

- ليس هذا وقت الكلام عن الزواج. أليس كذلك؟

- بالتأكيد؛ لأن لدينا أموراً كثيرة نتدبرها، ومشاكل عديدة نعمل على حلها.

- المهم أنك لم ترفضي، مهما تكن الظروف -إن عاجلاً أو آجلاً- ستتزوجيني. لا مفر من ذلك.

لم تجبه "تانيا" بل كانت تسترسل لمتعة حركات السفينة التي كانت تؤرجحهما.

قال بعد لحظة صمت:

- أفكر في شيء: في انتظار الزواج. لماذا لاتقيمين معي؟ بذلك تتخلصين من هموم السكن، والنقود عامة، ويكون في إمكانك توفير كل ذلك لدراستك.

- لدراستي! وهل تعتقد أني سأتمكن من التركيز في دراستي عندما أشاركك الحياة تحت سقف واحد؟

- نعم. جدياً لو تركت لي فرصة تدبير أمورك خلال هذين الشهرين الآتيين، يكون في إمكانك -أيضاً- التخلي عن عملك السخيف عند السيدة "دولور".

قالت "تانيا" وهي تجلس بالقرب منه:

- إني أعلم إحساسك إزاء هذه السيدة، كما أن حياتك لم تستقر بعد حتى تتحمل مسؤوليتي.

-حقاً. إني مازلت في مفترق الطرق. لكن أول عمل أتطلع إليه هو إبعادك عن السيدة "دولور".

- لكن يا "چين" ليس الأمر كذلك بالمرة....

ضمها إليه قائلاً بنبرات تفيض حناناً:

- قولي لي ياغجريتي: إنك قبلت البقاء معي. تأثرت "تانيا" لإخلاصه، وصدق مشاعره. كانت تعلم أنه كان يبغي- حقاً- مساعدتها، وكان واجبها في رفض عرضه يحطم قلبها، وقلبه. قالت:

- مستحيل يا "چين". ليس الآن. أجل عرضك هذا إلى أن انتهي من تقديم رسالة "الدكتوراه". حاول أن تفهمني. إن عليّ ديناً ويجب أن أسدده.

تنهد "چين" بعمق. حاول أن يقبلها، لكن الفتاة ابتعدت عنه.

عادت "تانيا" لتقول بمرح:

- ماذا لو قبلت أن تخدمني بأن تكون سائقاً لي. إن رسالتي جاهزة تماماً ويجب أن أمر على مكتب الآلة.

كانت "تانيا" واثقة أنه لن يقدر الموضوع.

الفصل السابع

- كم هو ثقيل! ماذا كتبت في رسالتك؟

موسوعة. (هكذا جاءت كلمات "چين" وهو يحمل أوراق رسالة "تانيا").

فتحت الفتاة الباب، وانحنت على القطين اللذين كانا مسرعين للقائهما.

- إنه ثقيل؛ لأن به سبع نسخ من الرسالة:

واحدة لي، واحدة لمكتبة الجامعة، وواحدة لكل عضو من لجنة التحكيم.

وقفت "تانيا" تنظر إليه، وهو يضع الحمل على المائدة، وشعرت وكأن حلقها ينعقد.

قالت "تانيا" مغمومة:

- ماذا سوف يحدث لو رفضت؟

www.7akawyna.com

كانت الفتاة تخشى حكم اللجنة، لكن ما كانت تخشاه أكثر هو حكم "چين".

أجاب "چين" وهو يأخذها بين ذراعيه:

- ولماذا ينقدون ذلك؟ إني متأكد أنه عمل ممتاز.

تمتمت وهي تضع رأسها على كتفه:

- إني واثقة من ذلك. لكنه جديد بعض الشيء. اقرأ العنوان.

انحنى "چين" لكي يفتح الدوسيه. بدا عنوان الرسالة مكتوباً بحروف كبيرة على الصفحة الأولى. حينئذ رأت "تانيا" "چين" يتصلب، وقد بدا عليه مزيج عجيب من العداوة، والحزن. ثم أمسك بالصفحة، وقد تعتم وجهه. وقرأ بصوت عال:

- دور إدراك تبادل الشعور في العلاج النفسي. ثم أعاد الورقة إلى مكانها، ثم ألقى نظرة دهشة إلى "تانيا".

سألها، وقد صدم:

- هل أنت حقاً جادة؟ كيف تعتقدين في هذه المعلومات التي أعتبرها خرافات؟

- إني جادة جداً، وهذه المعلومات ليست خرافة، ولا دجلا، ولا خزعبلات كما تعتقد يا "چين".

ارتمى "چين" على الأريكة مشبكا ذراعيه على صدره، وكانت إحدى قدميه تتحرك بعصبية في الهواء، فكان القطان ينظران إلى هذه الحركة مسرورين، وكأنهما يتساءلان: إذا كانت مقدمة للعبة جديدة. نظر إليهما "چين" ثم ركز انتباهه على الفتاة.

قال:

- كيف تستطيع فتاة ذكية، ومثقفة مثلك أن تتجنى على نفسها بمثل هذه الأمور؟

أتت "تانيا"، وجلست بالقرب منه دون أن تلمسه، وقالت:

- دعني أشرح لك.

- تكلمي، وإن كنت لست متأكدا حتى الآن أني سأقتنع بما سأسمع.

- لقد قمنا في بداية دراساتي، من خلال المحاضرات، بتدريبات على تبادل الأفكار. حينئذ أثبت أني موهوبة، فما كان من أحد أساتذتنا وهو الأستاذ "هيرمان مسنتاج" إلا أن اهتم بي.

وكان ذلك الأستاذ يقوم بنفسه بعمل أبحاث عن هذا الموضوع، واتخذني كمساعدة له. بهذا حصلت على منحتي.

توقفت "تانيا" لحظة لكي تراقب رد الفعل عند "چين"، فوجدته يلاطف "ين" غير مبال بما تقول.

أكملت "تانيا":

- وحتى بدون هذه المنحة كنت أكملت دراستي.

إن الموضوع يحسن في عيني، وعندي ثقة في كل كلمة موجودة في رسالتي. لقد قضيت سنوات في دراسة أنشطة عرافات مختلفات، وأعلم أن هذه الظواهر حقيقية، وإني أعمل عند السيدة "دولور" تحت مراقبة الأستاذ "مسنتاج"، ولن أترك هذا العمل لأن في تركه عائقا خطيراً لدراساتي.

ألقى "چين" إلى "تانيا" نظرة تعبر عن طعن، ثم تنهد بعمق، ونهض، وأخذ يتمشى في الحجرة. أما الفتاة فمكثت صامتة على الأريكة، وقد اشتد خفقان قلبها.

إن هذا الشاب الذي يمشي أمامها، وهو -فريسة لمشاعر متضاربة- كان يمسك بسعادتها بين يديه. لقد قاومت كثيراً حتى لا تقع في حبه، لكن يجب عليها أن تعترف الآن أنها فشلت في ذلك.

إن كل ما تريده الآن هو أن يلتفت إليها، ويبتسم لها.

أضافت "تانيا":

- أترى، أن الأمر ليس سهلاً؟

أجاب معلقاً بمرارة:

- لقد تعلمت ذلك من الحياة. لكن أخبريني:

- كيف يستطيع تبادل المشاعر شفاء الأمراض العقلية؟ إنها خرافة.

- لا على الإطلاق. إن معظم من يعانون من اضطرابات نفسية يكونون -عامة- في حالة ارتباك لا تسمح لهم بتفهم ما بداخلهم، والتعبير عما يحسون، فإذا تمكن هذا المريض -بفضل هذا العلم- من رؤية ما يزعجه، فهذا يساعده على أن تطفو الأفكار الدفينة في عقله الباطن؛ وبذلك يكون الشفاء سريعاً.

ثم نهضت "تانيا"، وامسكت بيده، وقالت له:

- أرجوك يا "چين" حاول أن تفهمني. إن عمل أبحاثي إيجابي جاد جداً.

حينئذ القى "چين" إليها نظرة وبقدر ما كانت ثائرة كانت ايضاً مؤلمة ثم قال:

- الأفضل لي أن أعود إلى منزلي؛ لأنني غير قادر على تقبل ما تقولين. إنه ضد كل معتقداتي، ويجب أن أفكر.

حكت "تانيا" راسها في صمت، ونظرت وكلها أسى إلى الباب، وهو يغلق خلفه. إن فكرة عدم عودته كانت ترعبها. إن ما نشا بينهما خلال هذه الأيام الأخيرة، هذه الزهرة النقية اليانعة- الا وهي الحب - بدت فجاة ذابلة، وغير قابلة للتجديد.

تنهدت وتوجهت إلى مائدة العمل، وكتبت : والدي العزيز، والدتي العزيزة انا لم افهم بعد....

###

وفي صباح اليوم التالي؛ استيقظت "تانيا" منهكة.

كانت تكره فكرة الذهاب لأخذ الأوتوبيس؛ لكي تتوجه إلى الجامعة، ليس - فقط- من أجل الوقت المفقود في المواصلات، إنما- خاصة- لأنها كانت قد اعتادت قضاء الساعات الأولى من النهار في صحبة "چين".

بينما كانت تجفف شعرها في الحمام، والقطان يلعبان بسلك المجفف الكهربائي، دق جرس الباب.

فاسرعت "تانيا" لفتح الباب

إنه "چين" في بذلة باللون الرمادي الغامق منتظر على البسطة، على وجهه ابتسامة فاترة، والقلق باد في نظراته.

قال:

- صباح الخير.

- صباح الخير. ادخل.

قال بعد أن اغلقت "تانيا" الباب بعده:

- لقد فكرت طوال الليل.

- ووصلت إلى أي نتيجة؟

امسك "چين" بيدها، وقبل أطراف أناملها، ثم أجاب:

- لقد وجدت أنك لن تستطيعي حمل النسخ السبع لرسالتك حتى موقف الأوتوبيس، إني على استعداد للقيام بدور ناقلي الأغراض إذا سمحت بذلك.

صاحت "تانيا" وهي ترتمي بين ذراعيه:

- أوه

يا "چين"! أسمح.

همس لها في أذنها:

- ينبغي- حتماً - أن نتخلص من موضوع الامتحان باسرع ما يمكن.

- نحن؟

- نعم نحن. لقد تحققت في هذه الليلة وبالتحديد في الساعة الرابعة وثماني دقائق أنك ستحلصين على "الدكتوراه" خلال ستة أسابيع، وبذلك تحل مشكلتنا تلقائياً..إذن هل نعتبر أنفسنا أصدقاء من جديد؟

- أصدقاء فقط؟

قال:

- سنناقش ذلك هذا المساء بعد محاضراتك.

- إني أعمل هذا المساء عند السيدة "دولور".

سب "چين" ولعن، وحمداً لله أنها لم تسمعه.

استطردت:

- لماذا لاتاتي معي، وتتعرف عليها؟

هز "چين" رأسه بعصبية، وقال:

- لا جدال في ذلك.

- "چين"، انس أحكامك المسبقة. إنك لا تعرفها.

قال مؤكدا:

- لا علاقة لرفضي بحكمي المسبق. غاية ما في الأمر، ببساطة أني خائف. إني أرتعب لمجرد التفكير فيها.

- على كل حال إنها مشكلتك.. ويجب أن أعمل عندها، وساعمل. سأذهب، فليس لدي وقت فراغ قبل يوم السبت. بعد ذلك سيكون في إمكاننا الكلام عن "صداقتنا". موافق؟

تمتم:

- موافق. لكن يوم السبت يبدو لي نهاية العالم.

بعد أن تفوه بهذه الكلمات حمل الحقيبة الثقيلة، واتجه ناحية الباب. وفي لحظة ما هم بفتحه. التفت. قائلاً:

- في الواقع، لماذا بينما تهتمين يا "تانيا" بابحاث جادة في علم النفس، تعملين على التحرر بارتداء هذه الملابس؟ ما الضرورة لذلك؟

- هذا يا عزيزي ما لا أنوي أن أفصح لك عنه. وإن كنت متمسكا بمعرفته، فجدير بك أن تذهب، وتسأل عنه السيدة "دولور": إنها فكرتها.

- أتعتقدين حقاً أني سأذهب لرؤية هذه السيدة المنحرفة؟

- السيدة "دولور" ليست منحرفة.

- بغير هذه التسمية سوف أدهش!

- كفى مناقشة. سوف أتاخر.

تراجع "چين"، وقال وهو يفتح الباب:

- حسناً، حسناً.

وفي نهاية فترة ما بعد الظهر، عندما دخلت "تانيا" عند السيدة "دولور"، كانت ترتدي بلوزة بيضاء فوق "چيب" طويل من القطيفة الحمراء.

كانت تضم شعرها إلى الخلف بامشاط من العاج، كما كانت ميدالية ذهبية تتدلى من طرف سلسلة على صدرها. كانت العلامة الناتجة من الحادث بالنسبة للفتاة ذكرى اليمة سيئة.

اهتز الستر المصنوع من اللآلئ مصدراً صوتاً رناناً مرحاً عندما عبرت من خلاله "تانيا"؛ لتلحق بالعرافة في مكتبها.

كانت السيدة تضع فستاناً أسود يزينه صف لآلئ. كانت تجلس أمام مائدتها التي كانت قد وضعت عليها كروت الحظ.

القت "تانيا" بنفسها على مقعد، وقالت:

- آه. يالله من يوم جميل!

أجابت السيدة "دولور" على هذا التاكيد بتمتمة خفيفة.

قالت لها الفتاة:

www.rewayatna.com

- ألا تتفقين معي في ذلك؟

- بلى، بلى. الطقس جميل بالفعل، ثم أمسكت بورقة من أعلى اللفة، ووضعتها إلى جانب الأخريات.

علقت:

- واضح لا بد أنها عجلة "الحظ" إنك مشرقة من السعادة لدرجة تكشف عمّا يحوط بك. آه! الحب .....

- إنك تضايقيني. كنت أود أن تبقى بعض الأشياء في سرية....

- لقد قلت لك: إنك مشرقة . إني لا أستطيع تغيير شيء في ذلك. أعتقد أن الأحوال تحسنت بينك وبين "چين".

- ألا تجازفين بتأكيدك ذلك؟ في الواقع لقد اكتشفت أن "چين" والبحار ليسا إلا واحدا.

دهشت السيدة "دولور":

- حقاً!

- أليس هذا ما رأيت؟

استطردت العرافة:

- لا. لقد كنت بعيدة تماماً عن هذه المعلومة.

- إذن ما هو سر "چين"؟

- سبق وقلت لك: أن تكتشفيه بنفسك؛ لأن في ذلك تمرينا جيدا لك. أعتقد أنك تخشين الارتباط به. لكن في الحقيقة أنت خائفة من نفسك. ما رأيك إذا قمت بعمل هذه الكروت؟

كانت "تانيا" تحك رأسها في الوقت الذي بدأت فيه السيدة "دولور" عملها كعرافة، وقارئة طالع.

أمسكت بورقها بعناية، ثم أدارت واحدة، ووضعتها على طرف المائدة، ثم أضافت إليها واحدة أخرى....

- فارس عصي على فارس السيوف. أخبريني معنى ذلك يا عزيزتي.

اقتربت "تانيا"، وثبتت نظرها على الكروت.

قالت "تانيا" في هدوء، وببطء:

- "چين" رجل حساس، وغامض، على خلاف دائم مع نفسه. لكن هذا خطأ تماماً.

إنه يعلم دائماً ما يريد عمله -بالضبط- لأن أجداده لهم خبرة عريضة في هذا الميدان، ومن هنا فعنده خلفية عن خبايا هذا الفن هنا بالضبط نقطة الخلاف بيننا. حساس نعم، لكن غامض لا، لذلك سوف يخرج عن صوابه إذا أحيط علماً بذلك. إني لم أساله عن برجه، لكني أراهن أنه "الثور" وهذا من طريقة تصرفه العنيدة.

انطلقت السيدة "دولور" في الضحك ثم استطردت:

- هناك عدة وجوه لتعليل الغموض، لا تتنافى مع العلوم السحرية، أو الدين.

فربما كانت هناك طريقة لتكريس الذات جسداً، وروحاً لفكرة واحدة: حب الطبيعة أو حماية البيئة مثلاً.

استمرت السيدة "دولور" في تقليب الكروت، بينما كانت "تانيا" تعلق عليها أولاً بأول.

- سبع عصي: لقاء مسبق. بالتأكيد إني أتساءل: إذا لم نكن- "چين" وأنا- قد تلاقينا في حياة سابقة.... ثماني كؤوس: تغيير في حياته. ربما يهرب من المسؤوليات. ثمانية سيوف: طاقة معطلة لأنه يرفض التغيير. أنا لا أريد رؤية أكثر من ذلك.

يجب أولاً أن أكتشف سره، وإلا فسأنتهي بتقرير أنه: يفسد طاقته في الهرب مني.

ابتسمت السيدة المسنة:

www.rewayna.com

- إني أرغب في رؤية "چين" عاجلاً.

- كنت أتمنى تقديمه لك، لكن....

- لا تهتمي. سيعود.

ظلت السيدة "دولور" مستغرقة في أفكارهاقبل أن تستطرد:

- حسناً. لقد لعبنا بما فيه الكفاية، ولقد حان الوقت لكي نستعد لاستقبال زبائننا.

www.zahrawyna.com

الفصل الثامن

في صباح يوم السبت، في الساعة السابعة والنصف كان ضباب كثيف يغلف الجزيرة إلى درجة كانت تحجب المنازل.

وكان لا يسمع إلا صرخات النوارس الخفية بينما بدأت أشعة الشمس عند شروقها تضفي لوناً ورديا على الأفق.

كان "چين" و "تانيا" ينزلان تجاه الجسر العائم المؤدي إلى "الفكر الحر".

كانت السعادة تغمر الفتاة. إذ كانت سماء حبهما صافية لا تغطيها أي سحب. كانت تتعجل هذه اللحظة التي ستجد نفسها معه على انفراد على هذا اليخت؛ للقيام بهذه النزهة على المحيط.

قالت "تانيا" وهي تضع قدميها على الكوبري الذي كانت الأمواج تلاطفه بهدوء:

- سيكون يوماً رائعا.

أجاب "چين" وهو يضمها بين ذراعيه:

- أجمل، وأروع من كل الأيام. هيا نسرع، ونترك الكوبري لأني لا أرغب في رؤية أي شخص اليوم.

- سألته "تانيا":

- والطاقم . أين هم؟

- ليست عندي أدنى فكرة. إنك طاقمي الوحيد.

- إنك تعرض نفسك لخيبة الأمل، لأني لا أعلم شيئاً -قط- في أمور الملاحة.

- لن أحتاج إلى عون. إن الريح خفيف، ولن نذهب بعيدا وسنسير ببطء.

ثم أضاف وهو يلقي إلى الفتاة نظرة ملحة جعلتها تشعر بقشعريرة لذيذة:

-إني واثق أن ظني لن يخيب .

بلغا مقر الملاحة، أدار "چين" المحرك الذي كان يصدر صوتا قوياً تحت أقدامهما.

وفي حركة واثقة ورشيقة، غادرا الكوبري العائم؛ ليتقدما بسلاسة نحو مخرج الخليج.

وبينما كان "چين" يستخدم الدفة، ويسيطر عليها، كانت "تانيا" تجلس بجواره، وتحوطه بذراعها.

كان قلبها يخفق في عدم صبر، وضعت وجنتها على كتفه، وتطلعت، من خلال جفنيها المغلقين حتى النصف، إلى الجزيرة التي اختفت قليلاً قليلاً في الأفق.

ولبرهة لمحت شرفتها، تلك التي كانت قد شاهدت منها اليخوت تتهادى على الأمواج دون أن تعتقد أنها ذات يوم ستحصل على حق

التواجد على أحدها...

شعرت الفتاة أنها اليوم تعد جزءاً من الصفوة وكان هذا الإحساس يبدو لها ممتعاً وإن كان زائلاً بعض الشيء.

وفجأة لطفت سعادتها البوابة التي كانت تغلق الخليج إذ إنها اهتزت، وابتعدت عن "چين" غير أنها تمالكت نفسها؛ واحتفظت بتوازنها. علماً بأن الأمواج كانت تهدد بزعزعة استقرار السفينة.

شعرت "تانيا" أن معدتها تعقد، فالقت إلى "چين" نظرة حزينة.

قلق "چين":

- لا تخبريني بأنك ستمرضين!

صاحت وإن كانت في داخلها تدعو الله ألا يلحق بها ضرراً:

- لا تخف. إني أحلم منذ أن سكنت هذه الجزيرة بطواف المحيط. هل ستفرد القلاع؟

- بعد أن نجتاز البوابة. غير أني سأفرد شراعا واحدا. هذا كل ما أستطيع القيام به؛ لأني بمفردي.

وبعد أن عبرا البوابة، أصبح المحيط هادئاً.

تبدد الضباب وأضاءت الشمس سطح ما وراء البحار التي كانت مياها تأخذ لوناً "تركوازيا":

وعندما تحسنت حالة "تانيا" قامت، وعاونت "چين" على فرد الشراع الأبيض الكبير الذي كان يصفق مستجيبا لريح الصباح.

أوقف "چين" المحرك، ووضع المركب على محرك أتوماتيكي. حينئذ ساد المكان سكون رهيب لا يقطعه إلا تلاطم الأمواج الرقيق في مقدمة السفينة، وصرخة طائر بحري.

لم تشعر "تانيا" قبل الآن بمثل هذا الإحساس بالسعادة والسلام. ومن الآن فصاعدالم يكن غيرهم: "چين"، وهي، والمحيط اللانهائي.

جلست الفتاة تتامل هذا الجمال مستندة إلى حافة السفينة. اتى "چين"، وجلس إلى جانبها، ووضع ذراعه حول كتفيها. لم تقاومه "تانيا".

بالرغم من أن تعارفهما حديث العهد، كانت "تانيا" قد اعتادت هذا الإحساس العميق من المودة، والتالف الذي ساد بينهما منذ اليوم الأول والذي كان يخيفها في البداية.

لاحظت أن "چين" بدا يسترخي. كما كانت مظاهر الغم البادية عليه تتبدد رويداً رويداً لتحل محلها غبطة لا توصف.

رفعت عينها نحوه، وقرأت على وجهه اهمية المحيط، والملاحة بالنسبة له.

سالته:

- هل سبق لك أن قمت بسباق في الملاحة؟

احتاج "چين" إلى بضع ثوان قبل أن يرد فقد كان غارقاً في التفكير.

- نعم، وكان هذا منذ عدة سنوات.

لكني توقفت.

- أنا لا أستطيع تخيلك صياداً. ماذا كنت تعمل بسفينتك؟

قال:

- إني أحب الملاحة. معذرة يجب أن أرقب جهاز إدارة المركب الأتوماتيكي.

تبعته "تانيا" وجلست على المقعد الخشبي.

- إلى أين تصطحبني ؟

- أين تريدين الذهاب؟ إلى الصين، إلى "أستراليا"، إلى "بالي" أم "هاواي"؟

أجابت وهي تكاد تلتهمه بنظراتها:

- يبدو لي أن كل هذه الأماكن أصبحت غير معتادة. لماذا لا تصطحبني إلى مكان مبتكر أكثر من هذه؟

كذب عليها:

- لست متاكداً من أنه يكون مستطاعاً لي.

لكني سارى ما سوف أستطيع القيام به.

بعد أكثرمن ساعة من الملاحة أصبحا في مواجهة جزيرة "كاتالينا". من بعيد كانت سفينة بضائع تترك خلفها دخاناً أسود في السماء الصافية. بينما النورسان اللذان كانا قد لحقابهما منذ الرحيل يتبعانهما دائما.

عندما لاحظت "تانيا" أن "چين" قاد السفينة إلى هذا المكان، غادرت مركز القيادة، وذهبت لترتدي لباس البحر. وعندما صعدت ثانية على الكوبري، اكتشفت "چين" وهو يضع سجادة حمام تحت أشعة الشمس. وعندما رآها أطلق "چين" صفير إعجاب.

- تعالي كم أنت جميلة!

علت الحمرة وجه الفتاة، واستسلمت لقبلته التي أسرع بمنحها إياها.

في الواقع لم تكن أول قبلة تتلقاها من "چين". لكن ما كان يحدث أنه في كل مرة تتلاقى شفاهما كانت "تانيا" تشعر بدوار أكثر سحراً، وأكثر تاثيراً عليها، وايضاً أقل نسياناً.

تمتم:

- أحبك.

- "چين" يا حبي، وانا أيضاً أحبك.

كانت الكلمات تصدر منهما بمحض إرادتهما. وكانت "تانيا" لا تحاول حبسها او على الأقل التظاهر بذلك: لأنها كانت حقيقية فعلاً.

مازاد على ذلك، أن "تانيا" كانت مندهشة لأن تتلخص أشياء على هذا القدر من الجمال، والبهجة، والجاذبية في كلمات قليلة هكذا.

قال "چين" بنبرة رنانة جعلها تنتفض من الرأس إلى القدمين:

- حتى الآن لم تقولي مثل هذه الكلمات هل انت واثقة من قولك هذا؟

- لم أتكلم قبل الآن بمثل هذا الصدق يا "چين". إني أحبك من كل روحي.

قال كعادة كل المحبين المتعطشين إلى سماع الكلمات التي ترضيهم:

- لماذا؟

- لأنك هو انت. انت قدري.

قال مسروراً ومازحاً:

- هذا كل شيء؟

- لماذا؟ أليس كافياً؟

وعوضا عن أن تجيب، فضلت "تانيا" أن تقدم له شفتيها حتى تعطيه فرصة الحصول على ما كان يمنع نفسه من القيام به. سر "چين" لهذه المبادرة.

قال بصوت أبح:

- إني أريدك يا "تانيا" إنك - حقاً - قدري.

إن كل مرة تقومين فيها بلمسي أشعر كأنها أشعة الشمس التي تسلط عليّ. هدئي من تأثيرك عليّ، يا غجريتي العزيزة.

- إني لست في حالة تسمح لي بإطفاء أي نار لأني كدت أجن يا "چين". إني أشتعل بنار حبك وأكاد أنفجر. إن هذا المحيط يشهد على حبنا، وعلى صدق كلامي.

- يا جميلتي "تانيا"، يا حبي.

كانا يشعران -كلاهما- بأن هذه اللحظات هي أسعد لحظات حياتهما.

إذ كانا يشعران أنهما يغرقان في محيط حب لا يضارع.

قالت:

- إذا كنت أحبك يا "چين" فهذا لأنك جزء مني.

- انتِ أيضاً يا حبي. إنك جزء مني. إنك أجمل ما في. لا تتركيني أبداً.

- حتى إن أردت ذلك فلن أستطيع تنفيذه. إن حياتي كانت فارغة قبل أن تدخل فيها.

في هذه اللحظة اشتد الموج، وتسبب في اهتزاز السفينة مما جعل كلا منهما يميل على الآخر.

قال "چين" مازحاً:

- يبدو أن الغيرة تملكت "الفكر الحر".

مسكين. إنها ليست حياة، حتى ولو لسفينة، تلك التي يكون فيها المرء وحيداً وسط المحيط دون أن يجد من يهتم به.

استلقت "تانيا" على ظهرها، وأخذت تتأمل عظمة السموات التي كانت لا تحجب زرقتها أية سحابة.

تنهدت وهي تقول:

- أعتقد أنه في إمكاني البقاء ممددة هكذا مدى الدهر.

أردف "چين":

- قد تستطيعين تقريباً. لقد احترق جسمك من تأثير أشعة الشمس عليه.

ثم أضاف:

- خذي الحذر يا "تانيا". إن الشمس في وسط البحر تضر أحيانا.

قالت ضاحكة:

- إن هذه النصيحة تخصك انت أيضاً.

وفي الساعات التي تلت، استرسلا في تأمل الطبيعة الهادئة التي تمثل حبهما الرقيق.

وعندما اشتدت الرياح فجأة، نهض "چين" وغير اتجاه الدفة، واخذ طريقه نحو سواحل جزيرة "باليوا".

تحققت "تانيا" من أنها كانت لا تعرف "چين" بقدر كاف عندما رأته يقود السفينة بمهارة.

اقتربت منه، وامسكت بيده ولمحت اختفاء العلامة التي كان خاتم الزواج تركها في إصبعه

سألته في حياء:

- هل كنت تحب زوجتك كثيراً؟ هل ضايقتك بسؤالي هذا؟

أجاب بعد لحظة تردد:

- لا. كنت اظن اني كنت احب "كارول" قبل أن اتقابل معك. واليوم علمت حقاً أنه لم تكن لديّ أي فكرة عن معنى الحب بلا شك كان هذا سبب فشلنا.

- أأستطيع سؤالك عما حدث؟

- اعتقد اني لم احقق لها آمالها: لانها تزوجتني من اجل انني الأرستقراطي والذي يتناسب معها.

لم تحتمل اكتشاف اني لست على قدر كبير من الثراء الذي كانت تتمناه.

صاحت "تانيا":

- وهي التي طلبت الطلاق.

- بالتأكيد.

- لا اكاد اصدق هذا. كيف تستطيع السيدة رفض أو بالأصح التخلي عن زوج مثلك؟

- علماً بانها الحقيقة. إن الطلاق كان قد تم النطق به عندما عدت إلى "باليوا".

ومن أجل ذلك كنت عائداً من عند المحامي في هذه الليلة المزعومة وكنت ثائراً، حزيناً، وهذا ما يفسر تصرفاتي معك.

- افهم جيداً. لو كنت استطعت اجتياز هذه التجربة دون أن تتاثر بها، ما كنت احببتك.

هل كانت جميلة؟

- "كارول" كانت لا تخلو من السحر. لكنك اجمل منها بكثير، واكثر جاذبية.

- يجب عليّ أن اعترف لك اني لست متحاملة عليها فيما سببت لك.

- ولا انا. في الواقع. إنها أعادت إلي الحرية والفرصة لكي احبك.

ختمت الفتاة حديثها وهي تقهقه:

- إذن حسنا يا "كارول".

بعد أن اشترك معها "چين" في الضحك، تركها، وذهب لكي يراقب السفينة. وعندما عاد ليعاود الجلوس إلى جانبها بدا غارقاً في افكاره.

حينما اكتشفت "تانيا" شروده فكرت: هل كان في اعماقه نادماً على فقده "كارول"؟

غير انها لم تشا أن تثقل عليه بالأسئلة، بل قررت أن تتبع نصائح السيدة "دولور".

أحاطته بذراعيها، وأسندت رأسها على كتفه.

فجاة رأت "تانيا" وسط الأمواج كتلة سوداء، كانت الرؤية واضحة، وقوية، ومخيفة إلى درجة جعلتها تعتقد أن هذا الوحش الذي رأته لتوها إنما هو نابع من عقلها الباطن.

فجاة قطع "چين" هذا الصمت:

- أتعلمين يا "تانيا"؟ إن الحيتان تعرف الحب مثل الآدميين.

تمتمت "تانيا"، وكانت مازالت مهزوزة من تأثير الصور التي تمثلت امامها.

- الحيتان.

- نعم الحيتان.

صاحت "تانيا":

- لقد نجحت.

- فيم نجحت ؟

- لن تفهم لقد كنت أجهل أن الحيتان تتزاوج.

- ومن أين تاتي صغار الحيتان بحسب رايك؟

إن البجعة ترفض إحضارها. إن وزنها ثقيل.

أخذ "چين" يسرد لها وصفاً مفصلاً طويلاً عن الحيتان، والخطر الذي يلحق بها، والذي لا يمنعها من التزاوج، بدقة وعاطفة جعلتها تتاثر.

سالته اخيراً:

- لكن كيف حصلت على كل هذه المعلومات عن الحيتان؟

- لأني قضيت أياماً كاملة في مراقبتها ساعات كاملة تحت الماء. وعندي لها صور رائعة.

حينئذ تذكرت "تانيا" "السونار"، "الرادار" والأجهزة الإلكترونية المختلفة التي كانت قد لمحتها على الباخرة.

- لكن كيف وجدت هذه الفرصة؟

بعد تردد استطرد "چين":

- إنه الحظ بعض الشيء.... الآن يجب أن أعيد الشراع؛ لاننا وصلنا تقريباً.

عندما نهض أمسكت "تانيا" بذراعه، قالت معترضة:

- أوه. لا! أريد معرفة النهاية. لماذاكنت تتبع الحيتان؟

- لأني "بيولوجي" متخصص في علم الأحياء قسم الحيوانات المائية وبصفة خاصة الحيتان.

صاحت "تانيا":

- إنك متخصص في علم الأحياء.

- نعم. الم أخبرك بذلك قبل الآن؟

- لكني كنت أظنك "سمسار بورصة".

- ساكون كذلك قريباً.

- هل تفضل توظيف الأموال على الحيتان؟

أجاب نادماً:

- لقد راقبتها خلال سنوات. ولقد حان الوقت حتى أقوم بعمل آخر.

تخيلت "تانيا" انه ليس جاداً في كلامه.

استطردت:

- احك لي قصصاً عن الحيتان يا "چين"، لماذا تراقبها؟ أعتقد انها محتاجة إلى الهدوء.

- إن المشكلة تكمن هنا. إنها تنشد الهدوء، لكن الناس تصطادها إني أرقبها لكي أحميها، أتابعها، أدرسها. وإلا لاختفت وانقرضت.

كانت عينا "چين" تعبران عن الغضب

قال:

- هل تعلمين لماذا يصطادونها؟ لكي يعملوا منها معلبات لتغذية الكلاب، والقطط: إن الحيتان حيوانات ضخمة غير انها وديعة، ومخلصة.

إن لها غناء غير مسموع، وتستطيع الاتصال ببعضها البعض تحت الماء على بعد أميال.

ويجب حمياتها، ولن نصل إلى إنقاذها إلا بمعرفتها جيداً.

كانت "تانيا" تنظر إليه -وهو يهتم هكذا- معجبة به، سعيدة أن تراه يصب اهتمامه على غرض نبيل كهذا.

ابتسمت:

- أقسم لك أنه لم يسبق لي قتل أصغر حوت، ولن أقوم بذلك أبدا.

- المعذرة يا "تانيا" إذا كنت أبدو متحفزاً في هذا الموضوع. إني أتابع الحيتان منذ سنوات وأصبحت مثل أسرتي تقريباً.

أكدت له الفتاة:

- إني أعجب بك عندما أراك متحمساً هكذا.

والآن إن أهم سؤال أود معرفة الإجابة عليه هو: لماذا - مادمت تحب الحيتان إلى هذا الحد - تريد الا تجاه إلى البورصة؟

- إن دراستي وبحثي عن الحيتان في المحيط نشاط يناسب شخصا أعزب. وكان هذا أحد أسباب فشلي في زواجي الأول من "كارول".

لقد تزوجتني من أجل مالي، ولم تكن مخطئة.

فلقد كان جدي يريد أن أباشر له أعماله.

الأمر الذي كان سيحقق لي مكاسب كثيرة أكثر كثيراً من بقائي مع الحيتان في أربعة أركان الكرة الأرضية.

- ألم تفهم "كارول" ذلك؟

- ما يحدث هو أنه عندما رحلت التصقت بغيري، وطلبت الطلاق. قمنا ببيع كل ممتلكاتنا، تقاسمنا المبلغ الذي حصلنا عليه، وأخذ كل منا طريقه. وفي لحظة غضب أنفقت نصف المبلغ الذي خصني في شراء بذلة ذات لون داكن، والسيارة الـ "BMW" طمعاً في أن يساعدني ذلك في أن أظهر بمظهر آخر.

- وبعد ماذا كانت النتيجة؟

أجاب وهو يمط شفتيه:

- أعتقد أني مازلت كما أنا. على الأقل لقد سمحت لي الـ "BMW" أن التقي بك.

قالت "تانيا":

- إني أكره بذلتك. وإذا كنت تنوي ترك الحيتان من أجلي فلن أغفر لك ذلك أبداً.

اقتربا من الساحل وكانت البوابة قد بدأت في هز السفينة. أدار "چين" المحرك، وضم الشراع.

قال "چين" قبل أن يخرج:

- إني أعلم ما أفعل، ولو اضطررت إلى فقدك فسيكون موتي أكيداً.

تاهبت "تانيا" للحاق به. لكن الأمواج أخذت تهز المركب أكثر فأكثر ففضلت الجلوس.

كان ينبغي انتظار الوصول إلى الميناء حتى يناقشاكل ما يختص بمستقبل "چين".

ولما عاد إلى "تانيا" أجلست هذه الأخيرة "چين" في مقعد مريح ذي مساند، وعادت إلى الهجوم.

بدأت بقولها:

- ما هذه الفكرة الغبية. فكرة التخلي عن دراسة الحيتان؟

أجاب وهو يستقبل "يانج" على ركبتيه:

- إني لن أخاطربفقدك يا "تانيا"؛ لأني متمسك بك. من أجل ذلك سأبقى معك، ولن أفارقك؛ لأني أريد أن أكون بالقرب منك طول الوقت. لافائدة من المناقشة: لقد اتخذت قراري.

- اسمعني جيداً يا "چين راندال" إني لا أنوي الاكتفاء بإطار ضيق يتلخص كل أفقه في ملفاته، في حين أن في إمكانه أن يكون اللانهاية.

- ستغيرين رأيك بلا شك عندما تلتزمين بالقيام بدور الـ"بنيلوب" تلك التي كانت ترفض كل الراغبين في التقرب منها اثناء غياب زوجها، وهذا عندما اكون مشغولاً بالتجول في المحيطات.

غير انه ربما ايضاً امل منك. (قال هذا وهو يبتسم)

قالت الفتاة معترفة:

- سافقدك ايضاً. لكني لن اجلس في المنزل لكي افرقع اصابعي، او اقوم بعمل منسوجات. إن لي مهنتي، وحياتي في حالة اختفائك.

- لقد لا حظت ذلك.

قالت:

- إني اعتزم الاستقرار وان يكون لي زبائن.

- إني سعيد الآن عندما علمت انك لن تنشغلي بالكروت، وخطوط الكف.

تابعت "تانيا" كلامها:

- لقد قرات في فكرتك بعد الظهيرة. لقد طبقت نصائح السيدة "دولور"، ولقد نجحت.

ولا افكر في التخلي عن التنجيم بعد حصولي على "الدكتوراه"؛ لأن العرافة والتنجيم قد يكون لهما دور كبير في العلاج النفسي.

صاح "چين":

- استحلفك بالسماء يا "تانيا".

- هذا لا يقارن بما قد افسد طفولتك.

لو كنت يا "چين" تدعني اقدمك إلى السيدة "دولور" فستتحقق من انها لا تشبه ابداً تلك اللاتي احتلن على والدتك. دع افكارك القديمة.

اعترض:

- ليست لي اي افكار.

- في هذه الحالة اقبل مقابلة السيدة "دولور"

خضع اخيراً:

- حسناً. لكني اعلم من قبل اني لن احبها.

قالت:

- هذا ما يُدعى "الذهن المفتوح" او المكشوف عنه.

تجمد كل جسم "چين"، واصبحت نظرته معبرة عن التهديد. غير انه مالبث ان عاد إلى حالته الأولى.

قال:

- ما الداعي لهذه المشاجرة بينما قضينا يوماً رائعاً؟ لقد كان يوماً ممتعا. اليس كذلك؟

قالت "تانيا" وهي ترتمي بين ذراعيه:

- اجمل يوم في حياتي. ولا انا. انا لا افهم لماذا نتشاجر؟

وبعد ان عاد "چين" إلى مسكنه جلست "تانيا" امام مكتبها، واخرجت ورق الخطابات.

بدأت هكذا:

والدي العزيز ووالدتي العزيزة إني اليوم سعيدة جداً. يجب ان اخبركما بالخبر السعيد الذي حدث لي: لقد وقعت في حب شاب، وهو متعلق بهواية اجدها رائعة، لكنه ينوي التخلي عنها. بينما انا من جانبي اهتم باشياء يمقتها، ولا اريد التخلي عنها.

الفصل التاسع

عندما دخلت "تانيا" يوم الاثنين التالي مكتب السيدة "دولور" كانت حالة الهياج عندها قد بلغت أقصاها.

قالت متعجبة:

- لقد قمت بذلك.

رفعت السيدة "دولور" عينيها من على الخطاب الذي كانت تقوم بتحريره ، ونظرت إلى الفتاة من أعلى نظارتها ذات الإطار الذهبي.

ابتسمت لها قائلة:

-حقا؟

ارتمت "تانيا" على مقعد واستندت بمرفقها إلى المنضدة تماماً في مواجهة السيدة المسنة.

- لقد وصلت بعد محاولات كل هذه السنوات، لذا يجب أن أعترف بأنها كانت تجربة مؤثرة للغاية بقدر ما كانت الصور لحوت ضخم. حقاً

لقد اعتبرت نفسي مجنونة للحظة الأولى.

- هذا يحدث في المرات الأولى.

- أعتقد الآن أن سر تبادل الأفكار هو معرفة كيفية التعرف على الظاهرة وقت حدوثها.

عندما رأيت هذا الحوت ظننت أولاً أن عقلي الباطن الذي يصوره لي.

قالت السيدة "دولور" وهي تصفق بيديها:

- حسنا، الآن وقد حققت النجاح مرة، سيكون الأمر أسهل فأسهل.

- وحماية الحيتان هو السر الذي كنت قد رأيته. أليس كذلك؟

اعترفت السيدة:

- نعم. الحيتان، حبه للطبيعة، وحماية البيئة هما شغله الشاغل.

- إلى من تقولين هذا ؟ لقد عانيت كل الصعوبات حتى أجعله يتكلم، لكن ما إن بدأ، وأفصح بكل شيء... لكن كيف يستطيع تغيير اتجاهه بترك البحر بينما هو يعتبر حياته؟

وضحت لها السيدة "دولور":

- كلنا نمر بمراحل التساؤل.

- لكنها قد تكون جريمة حقيقية إذا نفذ التخلي عن ذلك.

-ربما تكون مرحلة ضرورية، لازمة لتنفيذ أكبر غرض. من يدري؟

تنهدت "تانيا":

- بالتأكيد لست أنا. من جانب آخر فإنه لا يقدر مطلقا ما أقوم به. كنت أتمنى أن يلتقي بك، لكني لم أصل حتى الآن إلى إقناعه بذلك.

-تحلي بالصبر ياعزيزتي.

اتبعت "تانيا" نصيحة السيدة "دولور"، وكفت عن الكلام عن هذه المقابلة.

وخلال الأسابيع الثلاثة التالية، استمر "چين" في البقاء بالقرب منها،

يعد لها وجباتها الثلاثة، ويساعدها في مراجعة المناقشة التي ستقوم بها، ورفع حالتها المعنوية عندما يشعربانها هابطة بعض الشيء.

لم تصدق "تانيا" عينيها عندما رات ، يوم الاثنين حوالي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر في قاعة الانتظار عند السيدة "دولور"، - "چين" من غير موعد مسبق.

صاحت وهي تنهض:

- "چين". ماذا تعمل هنا؟

- لقد قبلت مقابلة السيدة "دولور" وهانا قد اتيت.

قالت "تانيا" وهي تبتلع لعابها بصعوبة:

- إنك لا تحسن اختيار الوقت . إنها الآن على موعد مهم خلال فترة لا تقل عن نصف ساعة.

أسرع بالرد:

- وأنا لا أستطيع البقاء هنا اكثر من خمس دقائق، مع اني لا افهم سبب مجيئي إلى هنا.

- انتظر لحظة إلى أن أتحقق منها إذاكان في إمكانها استقبالك.

أسرعت "تانيا" بالقيام بهذه المحاولة؛ لانها كانت تعلم انها إذا تركت هذه الفرصة تفلت منها فلن تاتي فرصة غيرها بعد ذلك.

أعلنت له عند عودتها:

- مقابلتك تسعد السيدة.

قال:

- أنا لا اشك في ذلك.

تمتمت وهي تضع يدها على ذراعه:

- لا تخلق لي مضايقات.

قال مؤكداً:

- ساكون مثال اللطف. لا تخشي شيئاً ، ساكون ملاكاً.

كانت السيدة "دولور" جالسة على الأريكة في فستان من الحرير الوردي يزينه "بروش" من الذهب، وفصوص الأحجار الكريمة.

وكانت تضم شعرها الرمادي في "شينيون" أعلى عنقها، وكانت هذه هي التسريحة التي تمتاز بها.

أمسكت "تانيا" بيد "چين" واصطحبته أمام السيدة للقيام بحركة التعارف.

- إني سعيدة بلقائك والتعرف عليك، يا "چين". لقد كلمتني عنك "تانيا" كثيراً.

كانت الفتاة تراقب "چين" وهي تكاد ان تنطلق في الضحك.

كان يتفحص السيدة وفمه مفتوح إلى النصف وهو على ما يبدو لا يكاد يصدق عينيه. ثم تمالك نفسه وقبض على اليد الضعيفة التي امتدت له.

قال بنبرة حارة:

- اقدم لك فائق احترامي ياسيدتي. أنا ايضاً سمعت الكثير عنك من "تانيا".

ثم القى نظرة عتاب إلى "تانيا"، ختم كلامه قائلاً :

- لكني اعتقد أن هناك بعض التفاصيل لم تبلغني.

استطردت السيدة اللذيذة التي كانت في الستين من عمرها:

- لا أهمية لها. تفضل خذ مكانك.

جلس "چين" على كرسي منتصب الظهر مستنداً على ظهر الكرسي.

بينما عادت السيدة "دولور" إلى الأريكة.

سالته:

- هل ترغب في تناول قدح شاي؟

ولما وافق "چين" اختفت "تانيا" بسرعة في المطبخ الصغير الذي تستطيع من خلاله الحصول على بعض تفاصيل المحادثة.

كانت السيدة "دولور" تقول:

- شيء ظريف، اتعلم أن أجدادك كانوا أصدقاء والدي؟ كانوا كثيراً ما يلتقون للعب الورق معاً. لكن هذا- بالتأكيد- كان منذ زمن بعيد.

عندما عادت "تانيا" وجدت "چين" قد تخلى عن تحفظه إذ كان يبتسم لسماع إحدى الطرائف التي حكتها له السيدة "دولور" بشأن جده لوالده.

قالت "تانيا" وهي تقدم لهما الشاي:

- أعتقد انكما تتناولان الحديث عني.

أجاب وهو يطنطن بقدحه على الطبق:

- يعني..... ليس بالضبط.

- من حسن تصرفك انك لا تستفسر مني عن عملي، لذلك ساقوم بهذا من تلقاء نفسي. أولاً : أنت تتساءل: لماذا اقوم بدور العرافة؟

والإجابة بسيطة : إنها موهبة. - هل ممارسة المواهب امر طبيعي؟ من جانبي إني اتمتع به منذ طفولتي، وإذا كنت لا تصدقني فاسأل جدك عن أمر ساعة ذهبية كان قد فقدها ذات يوم.

لقد مضت فترة طويلة على ذلك لكني واثقة من انه مازال يتذكره.

شبك "چين" ساقيه واخذ يهز قدميه بعصبية غير انه ظل صامتاً واضعا اهتمامه في شرب الشاي.

كانت "تانيا" تنظر إليه متأثرة: إذا كان "چين" أتى إلى هذا المكان فذلك لإرضائها ليس إلا. من أجل ذلك فهي تعترف له بهذا الجميل.

- إنك بالتأكيد تتساءل : لماذا أستعين بمساعدة إنسانة ترتدي هكذا في حين اني بسيطة في هندامي.

- اعترف لك اني فعلاً تساءلت هذا.

اكملت السيدة إذا كانت "تانيا" متخفية في زي غجرية فهذا لأني أجد تسلية في ذلك. هل هناك مانع من التسلية أو هل فيها شيء سيئ؟

- أكون آخر من يقول هذا.

- من جانب آخر فإني أرى أن هذا التنكر يفيد "تانيا": لانها بطريقة عامة جادة جداً، وبقليل من المرح، والتغييرفي مظهرها قد تستفيد كثيراً.

- وهنا أيضاً أجدني متفقا معك في الرأي.

- بالإضافة إلى أن الزبائن كانت غير مسرورة عندما كانت "تانيا" تحضر استشاراتي، وتدون المذكرات، وهي في زي عادي؛

لذلك تذكرنا أساسها "البوهيمي" وها هي النتيجة.

- أعتقد أن هذا لم يجعل لمضايقتي.

لكن هل في وسعي توجيه سؤال تطفلي بعض الشيء؟

- تفضل.

- لماذا تطلقين على نفسك اسم السيدة "دولور"؟

أعجبت السيدة المسنة بهذا السؤال. قالت :

- اعلم أيها الشاب أن "دولور" هو الاسم الذي أعطيت من والدي- رحمهما الله-. والآن إذا كنت ادعى "السيدة" وهو الأمر الذي تدهش له لأنك من أصل امريكي؛ فهذا لأن زوجي فرنسي، وأمر طبيعي أن سيدة متزوجة تدعى هكذا.

إني السيدة "دولور لو كليرك".

قال "چين" لـ "تانيا" بلهجة عتاب:

- كان ينبغي أن تخبريني بهذا.

- إنك لم تسألني عن ذلك أبداً.

استمر "چين":

- وهل السيد "لوكليرك" يسكن هنا؟

أجابت السيدة العجوز ووجهها مشرق بابتسامة رقيقة:

- أحياناً. إن هذا المنزل هو مقر له غير انه كثير الاسفار من اجل سياسة بلده. فانا من جانبي اكره السفر بالطائرة ، لذلك لقاءاتنا محدودة.

بعد برهة صمت قال "چين":

- ألا تفتقدينه؟

- بلى! بالتاكيد. لكن عندما يعود إلى المنزل. تكون سعادتنا بالبقاء معاً اقوى من أول يوم لزواجنا.

فجاة تلاشت لمحة السعادة من وجه السيدة، وأخذت تنصت باهتمام.

كانت شفتاها تتطابقان في حركة حزينة، ثم قالت لـ "تانيا":

- إنه موعد لقاء مفتشي "لوس انچيلوس":

لقد وصلوا . أم الطفل حضرت معهم.

حينئذ سال "چين":

- ماذا يحدث؟

وضحت له "تانيا":

- إنه موضوع هذا الطفل المختطف الذي لم يعثر عليه حتى الآن، ولقد قررت الشرطة الالتجاء إلى السيدة "دولور".

يبدو أن الأم جاءت ايضاً. علماً بان هذا الأمر لم يكن معلوماً.

قال "چين":

- لكن لا يوجد أحد.

- لن يتاخروا. إن السيدة "دولور" شعرت بهم.

قال "چين" وهو ينهض إذ كان معترضاً على ذلك:

- "تانيا"!

ثم توجه إلى السيدة واضاف:

- لقد سعدت بلقائك. لكني مضطر ان انصرف الآن.

- لا. امكث يا "چين". مهم جداً أن ترى عملنا انا و "تانيا". اجلس هناك في الزاوية. لن يروك.

تردد "چين" في بدء الأمر، ثم تراجع، وذهب لياخذ المكان المعين له. كان يبدو متضايقاً. ثم تعتم وجهه عندما سمع قرعات على الباب بعد دقيقة.

أسرعت "تانيا" بفتح الباب والسماح للمفتشين الاثنين والأم . ثم في سرية وضعت جهاز التسجيل. كانت السيدة "دولور" جالسة على الأريكة، وإلى جوارها أم الطفل التي مدت لها يدها بصندوق اخرجت منه العرافة اولاً: غطاء ورديا فركته برفق بين يديها، ثم وضعته، وتناولت ارنبا من الفرو، وايضاً زوج "جورب".

وبينما كانت تتحسس الأشياء المختلفة على التوالي كان نظرها يذهب إلى بعيد. كانت تبدو كانها تكلم نفسها بصوت منخفض.

مال "چين" على "تانيا" وقال:

- إن ما تقوم به هذه السيدة يعتبر جناية.

كيف تهب هذه الأم المسكينة آمالاً كاذبة؟

- إن السيدة لم تعط وعوداً، وهي تعلم ذلك.

لكن كيف تستطيع ترك فرصة حتى ولو كانت ضئيلة؟

بدات السيدة "دولور" تصف الطفل بصوت خافت، وهي تتحسس الغطاء.

- هل هي.....؟

ولم تكمل الأم كلامها.

- إنها حية ومعتنى بها.

www.rewity.com

رفعت العرافة الملاءة إلى شفتيها، واستمرت بصوت مخنوق:

- إني أرى مربعا .... لا بل أرى مستطيلا كبيرا عليه حصان. الحصان يجري محاطا بحلقات سوداء.

.... الحلقات تجري....

تلا هذه الكلمات صمت طويل ثم رفعت السيدة المسنة رأسها، وتنهدت بأسى.

- سأحاول من جديد فيما بعد عندما أكون بمفردي.

نظرت "تانيا" إلى "چين". كان يشبك ساقيه وذراعيه، ويقطب حاجبيه بغيظ، وكان الشرر يتطايرمن عينيه. وفجأة عبر وجهه عن الدهشة.

صاح بصوت عال:

- لا فتة!

ساله أحد المفتشين:

- لا فتة. أين؟

قال "چين" وهو يهز كتفيه:

- لست أدري. توجد إحدى اللافتات عليها حصان على الطريق السريع. إنها تحمل ماركة إطارات السيارات. اسمعوني إني لا أعلم جيداً عم أتكلم؟ لقد اتى ذلك إلى ذهني عندما سمعت السيدة "دولور".

ثم نهض واضاف:

- حسناً. الآن انصرف.

قاطعه رجل الشرطة:

- لحظة من فضلك. أي طريق سريع؟

وعندما تركه رجال الشرطة ينصرف اضطرت "تانيا" أن تجري لكي تلحق به. ولم تتمكن من ذلك إلا أمام سيارته الـ "BMW".

قالت:

- تاكدت يا "چين" أن التنجيم نافع؟

- فيم ؟ إنه أمر منفر.

- كيف تقرر أمراً هكذا؟ وإذا وجدوا الطفل؟

- أين هذا؟ معلق على لافتة . هذا كل ما افادت به سيدتك "دولور"، وهو يعطي الأم أملا خاطئاً.

- حتى ولو كان ظل أمل فهو أفضل من اليأس.

- اسمعي يا "تانيا" انا أتمنى من كل قلبي أن يجدوا الطفل. لكن منذ متى وهو مفقود ؟ شهر. أتتوقعين انه مازال هناك أمل؟

ثم فتح باب المنزل خلفهما ليدع المفتشين يخرجان، وهما يساندان الأم المسكينة إلى سيارتهما.

استطرد "چين":

- وأقل ما يمكنني احتماله هو أني اشتركت في هذه المسرحية.

عارضته الفتاة قائلة:

- بالنسبة لي فإني مسرورة لذلك. لأنه على الأقل قد حدد حقل التجارب.

قال متوسلاً:

- "تانيا" تناسي كل ذلك. إنه أمر خطير ويخيفني.

- لو كان مهماً إلى هذا الحد بالنسبة لك فسافكر فيه.

استمر "چين" في حديثه:

- بالضبط. الأفضل ألا نتقابل بعض الوقت حتى نجد الوقت للتفكير. كنت قد رفضت منذ فترة طويلة رحلة خاصة بالحيتان إلى "لاچولا". سأذهب إليها من اليوم. إن افتراقنا هذا سوف يسمح لنا بتحديد أساس خلافاتنا.

ثم خُيل إلى "تانيا" أن يداً ثلجية كانت تعصر قلبها.

أخيراً تمكنت من النطق بهذه الكلمات:

- تُرى هل لي الحق في قبلة وداع؟

أخذها "چين" بين ذراعيه وقبلها. ثم قال مطمئناً:

- إن الأمور ستسير إلى أفضل. حسناً لكي تأخذي الوقت الكافي للتفكير.

- وأنت ايضاً

وفي اللحظة التالية، كانت السيارة الـ "BMW" قد دارت ناحية الشارع تاركة الفتاة على الرصيف.

ذهبت "تانيا" بعد ذلك للقاء السيدة "دولور" التي كانت مازالت تمسك بحاجات الطفل بين يديها. كانت تعلم أن هذه التجربة كانت قد أنهكت السيدة العجوز التي سألتها:

- ماذا كان رد الفعل عند "چين"؟

قالت "تانيا":

- خاف -وايضاً- تضايق.

- اتركي له بعض الوقت.

أخذت "تانيا" تتجول في الحجرة.

ثم استطردت:

- إني أعرف "چين" منذ أربعة أسابيع.

لكن أشعر أنه جزء من حياتي. وكم أشعر بالسعادة بالقرب منه.

- وهذا هو الذي يجعلك تدورين في مكتبي مثل حيوان في قفص؟

سألت الفتاة:

- لماذا تتعقد الأمور هكذا؟ قبل أن أعرفه كانت حياتي بسيطة. كنت أعلم دائماً ما أريد، وما علي أن أنفذه، وكنت لا أفكر إلا في دراستي.

- والآن؟

- إنك تعلمين جيداً أني مولعة بالظواهر القريبة من علم النفس. لكن لا أستطيع الاستمرار في ابحاثي إذا كانت تتسبب لـ "چين" في الآلام؛ لأنه مهم جداً لي.

- إنك متفهمة جداً.

- لا على الإطلاق! كنت أرغب في أن أفهمه. إني لست مجنونة- وأن أساعده على التعقل غير أن فكرة التخلي عن دراسة الحيتان تزعجني كثيراً.

- إنه كرم عظيم من جانبه.

- إني أرفض فكرة أني حكمت عليه بالأنانية منذ لقيته لأول مرة. والآن أنا لا أرغب في أن يرفض سفينته.

أتمنى أن يظل في نظري هذا الشاب الضاحك الذي رأيته أول يوم، وسيصبح أمراً مستحيلاً أن أتقبله "سمسار بورصة".

- وهل تناقشتما معاً في هذا الموضوع؟

تنهدت "تانيا":

- تناقشنا كلمة كبيرة بالنسبة لي. إنما كلمة تشاجرنا تأتي مناسبة.

- هل حقاً تريدين أن يسافر طوال أسابيع على سفينته؟

ارتمت "تانيا" على الأريكة بالقرب من السيدة وصاحت:

- لا. ها هو قد سافر مدة أسبوع. لست أدري كيف ساعيش.

وهنا ساد الصمت بين السيدتين.

ثم قالت بصوت كسير:

- كم أود أن يكون بالقرب مني يوم الأربعاء.

- الأربعاء؟

- لم أعرف إلا اليوم أني ساكون يوم الأربعاء في مواجهة لجنة التحكيم لمناقشة رسالتي. لم أخبر "چين" بذلك لأني أعرف كم ستكون

www.rokeyna.com

هذه الرحلة مهمة له، وربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي ستتاح له فرصة الاهتمام ببعثة. ثم مع ذلك وجب ان أكون كفيلة بمواجهة مشكلة صغيرة بمفردي. إني فتاة كبيرة. لا.

ثم بعد ثوان من الصمت اعترفت الفتاة "إني في الواقع مزعجة؛ لأنه كلما مر الوقت أشعر باني ساعجز عن الدفاع عن رسالتي، واني لن أحصل على "الدكتوراه".

وماذا سافعل إذن؟ كيف اكتب إلى والدي لكي انبئهما باني رسبت؟

نهضت السيدة "دولور" في صمت، وغادرت الحجرة. وعندما عادت كان بيدها دورق وكوبان.

- أعتقد أن قليلا من العصير سيفيدنا. تنهدت "تانيا":

- أرى أنك على حق.

الفصل العاشر

في صباح يوم الأربعاء عندما دخلت "تانيا" الحمام عكست لها المرآة صورة وجه أتلفه الحزن والسهاد.

أيضا لاحظت خطوطا سوداء تحت جفونها، تقلص شفتيها.

كانت هذه علامات تكشف عن قلقها وانشغال فكرها. كان قلبها يخفق عندما تتذكر أن الأمر المحتوم (المقدر) لا بد ان ينفذ خلال فترة قصيرة. لم يكن هناك وقت للتعرف وكما أن القلق لا يفيد شيئاً. كانت الفتاة قد راجعت أهم مؤلفاتها، كما أنها اجتازت الامتحانات التحريرية بنجاح، بقي أمامها حاجز عليها أن تتخطاه: مناقشة رسالتها أمام لجنة تحكيم تعلم أنها لا تعارض.

كان القطان وقد شعرا بعصبيتها ينظران إليها من بعيد مفضلة عدم المخاطرة.

قالت بصوت عال:

www.tahrawyna.com

- آه. لو كان "چين" هنا. إني في احتياج إلى كتفه أستند إليها لكي أبكي إذا ما رفضت.

لكنه ليس هنا. لقد مر يومان منذ أن تركته- بغباء- يرحل إلى "الـ چولا".

ثم بيد غير واثقة، تزينت قليلاً، وضمت شعرها، ونهبت لارتداء ملابسها: "تاييز" أزرق رزين مع "بلوزة" بيضاء، وحذاء أسود بكعب عال. كان مظهر الأناقة الوحيد الذي اهتمت به.

بعد أن لا طفت "ين" "ويانج" أمسكت بحقيبتها، واتجهت نحو الباب. وفي الوقت الذي وضعت فيه يدها على المقبض سمعت ثلاث قرعات على الباب، وبينما هي تفتح الباب -قلقة- وجدت "چين" على البسطة.

قال وقد بدا عليه المرح:

- صباح الخير. كنت تنتظرينني؟ كيف حالك؟

إنك رائعة.

هو أيضاً كان يبدو في صحة جيدة.

ثم افاقت الفتاة وصاحت:

- لكن ماذا تعمل هنا؟ المفروض انك في رحلة تستغرق اسبوعا.

شعرت "تانيا" بوجود "چين" غير المتوقع كانه هدية السماء. لم يجد وقتاً افضل من ذلك ليصل فيه.

أجاب:

- إني أجهل ذلك. لقد رغبت في المجيء.

قالت وهي تلقي بنفسها على عنقه:

- كم انا مسرورة لرؤيتك!

ثم جمعتهما قبلة حارة.

- كانت رحلة تستحق الذكر. الست قلقة؟

أليست لديك متاعب أو مضايقات؟

- لماذا تسالني كل هذا؟

- لا أدري. أشعر أنك تعانين من مشكلة، ومن أجل ذلك عدت؛ لأني لما وجدت نفسي- باي شكل - عاجزاً عن النوم وعن التركيز في عملي، قررت أن آخذ سيارتي، وأن آتي للقائك. لكن لا بد أن أكون وقتئذ في حلم لأني أراك في أحسن حال. في الواقع كنت أشعر بالرغبة في أن أكون معك.

- لست على ما يرام يا "چين". لا على الإطلاق. أوه!

كم أنا سعيدة أنك هنا.

- ماذا يحدث؟

- سوف أناقش رسالتي خلال أقل من ساعة، وهانا أموت خوفاً. ولم أكف عن ندائك بذهني لنجدتي. إنه بلاشك من أجل ذلك فقد شعرت أن عندي مضايقات. شكراً يا إلهي. لقد استجبت لي! لم يبد "چين" أي تعليق.

سألها:

- لكن لماذا لم تكلميني عن ذلك؟ صدقيني كنت سالغي سفري.

- كان ينبغي أن أتصرف بمفردي. إنك لست مسؤولاً عن الإمساك بيدي طول حياتك.

- أوه. بلى ! وبكل سرور. اذهبي وهدئي نفسك. كل شيء سيتم في أحسن صورة.

ستكونين ممتازة أمام لجنة التحكيم.

- إذا كنت فقط استطيع تصديقك. على كل حال لقد حان وقت انصرافي. ويجب الا اتاخر.

- أتريدين أن آتي، وأن انتظرك في الدهليز أثناء مواجهتك لأولئك

الوحوش؟

- أترغب في القيام بذلك؟ إنك رائع.

على الأقل سيكون معي من يقوم بجمع أجزائي إذا ما قاموا بتشريحي، وتقطيعي.

حوالي الساعة الحادية عشرة أي بالضبط بعد انقضاء ساعتين وسبع وأربعين دقيقة على الامتحان. خرجت "تانيا" من المدرج. كانت ساقاها تحملانها بصعوبة ومعدتها معقودة من الوهم، وتوقع الشر، وجهها شاحب وكان عليها أن تضم شفتيها لكي تمنعهما من الارتجاف.

ترك "چين" المقعد الذي كان جالساً عليه في الحال وأسرع نحوها، وأخذها بين ذراعيه حتى يهبها طمانينة واستقرارا.

سألها في هدوء:

- كيف تمت المناقشة؟

- أوه، يا "چين" كانت أسوأ مما كنت أتصوره.

- ماذا حدث؟

- لقد رسبت.

- هل أعلموك بهذا؟

- لم يكن هناك داع لذلك. إني أعلمه.

ارتمت "تانيا" على كرسي ووضعت رأسها بين يديها.

وضحت "تانيا":

- لقد تداولوا، شرحوا نظرياتي، عدم كفاءتي وعدم استعدادي دون الكلام عن غبائي.

خلال دقائق سوف يستدعونني لإعلان رفضهم في منحي "الدكتوراه".

قال "چين" وهو يحيط كتفيها بذراعه:

- لكن لماذا يقومون بمثل هذا العمل؟

- لا أدري. بلاشك لم يعجبوا بلون "التاير" الذي أرتديه، أوعلى الأقل

تضايقوا من كثرة "الدانتيلا" الموجودة في بلوزتي.

زجرها "چين" في لطف:

- لا تنطقي بمثل هذه السخافات.

- إنك تعلم موضوع رسالتي. حسناً لم يكن في المدرج إلا لجنة التحكيم المعتادة. وتقريباً كان كل الأساتذة حاضرين لتوجيه أسئلة عديدة لي لم يكن في استطاعتي الإجابة على جميعها. فاضطررت للاعتراف بأن إجابتي ناقصة، وأني لا أستطيع الاستناد إلا إلى نظريات غير أكيدة. الوحيد الذي كان في جانبي هو الأستاذ "مستناج". غير أنهم كانوا يهاجمونه مثلي تماماً.

- إنك قمت بعمل رائع. إني متأكد من ذلك.

- خطأ. على أي حال بما أنهم رأوا أني خائرة، حينئذ وجهوا لي كل الأسئلة الممكنة، والتي لا تخطر على بال أحد في علم النفس.

قاطعها "چين":

- لكنك لا تتزعزعين بسهولة. لقد راجعنا- حتماً- كل شيء معاً. ماذا عملت بتفاؤلك؟

- أنا لا أعلم حتى معنى هذه الكلمات... في النهاية لقد منحتني سنين الدراسة السيطرة على النفس. ليكن هذا على الأقل. لكن ماذا عسى أستطيع أن أفعل بالسيطرة على النفس فقط؟

أخذها "چين" بين ذراعيه قائلا:

ستسيطرين على قلبي، وعلى حياتي يا عزيزتي.

تمتمت:

- أنت لطيف. لكن مهما حاولت أن تعمل على رفع روحي المعنوية فلن تفلح.

قالت ملتاعة:

- ماذا سأقول لوالدي؟

www.rahmaniyya.com

- إنك تحبينهما وسيجيبانك بان كل الأمور تسير جيداً.

- لكن هذا غير صحيح بالعكس، إن الأمور تسير إلى أسوا.

- اهدئي يا حبي، وكل شيء سيتحسن.

ثم قبلها بحنان.

- آه يا "چين" إني سعيدة لوجودك هنا.

لو كنت بمفردي ما كنت تحملت مثل هذه المأساة.

- المهم اني احبك ياغجريتي العزيزة .

رفعت "تانيا" نحوه عينيها، وقد ملأهما التأثر.

- عندما أعود للجنة لسماع نبأ رفضي، ساكون حينئذ حرة ومتفرغة، وساذهب معك لمراقبة الحيتان.

ابتسم "چين":

- يالها من فكرة شيقة ! يجب أن نعاود مناقشتها فيما بعد. اما حالياً فما رأيك في فنجان قهوة؟

- لا إن بقائي هنا ضروري.

عندما استبد القلق بالفتاة قالت:

- ماذا يعملون إذن؟

قال "چين":

- أرى أنها علامة جيدة.

انتظرا مدة نصف ساعة. حتى فتح الباب أخيرا. كانت وقتئذ "تانيا" قد كفت عن التفكير. أتى للقائهما الأستاذ "مستناچ" - ذلك الرجل القصير القامة ذو الشعر الأبيض، والنظرة الثاقبة من خلف نظارته- أتى وابتسامة عريضة على شفتيه.

وقف برهة يتأمل الفتاة.

وأخيراً قال:

- أتريدين الحضور..... يا دكتورة "زيدزياك"؟

لم تفهم "تانيا". وعندما ضمها "چين" إلى قلبه، رفعت نحوه نظرة شاردة.

تمتم:

- "دكتورة". أعتقد انه ليس عليك الآن انتظار زملائك.

تمتمت الفتاة:

- "دكتورة".....

فجأة وضحت معاني الكلمات، فالتفتت "تانيا" نحو الأستاذ.

- هل... أفهم... اني قبلت؟

قال الرجل المسن:

- إن المناقشة كانت حادة. لكنك خرجت منها فائزة، منتصرة. هناك أيضاً مفاجأة ستعجبك. تعالي.

لم تتمكن "تانيا" من الامتناع عن تقبيله؛ لأنها كانت تعلم انه كان خلال المناقشة يساندها، كما أنه كان يشاركها أحزانها.

قالت بعد ذلك لـ"چين":

- انتظرني. ساعود حالاً، وساكون حرة طول النهار.

وعند دخول "تانيا" المدرج تحققت أخيراً من أن سنوات دراستها الثماني قد كللت بالنجاح . لقد انتهت الآلام ، والقلق، والعذاب وعادت حياتها بسيطة وسوف تستطيع الحصول -أخيراً- على "الفكر الحر".

ولما عادت "تانيا" إلى الدهليز، كانت في أوج سعادتها، ومع ذلك القت إلى "چين" نظرة قلقة. لكنه منحها أجمل ابتسامة.

تمتم وهو يضمها إليه:

- أهنئك من كل قلبي يا غجريتي الجميلة.

- لا أكاد أصدق.

- ماذا كان الخبر الذي أتى به الأستاذ؟

ترددت "تانيا"، بضع ثوان إذكانت لا تجد الشجاعة الكافية لإعلان

www.rewayna.com

النبأ في الحال.

- إني لا أريد التفكير في أي شيء كان. ساخبرك فيما بعد. اصطحبني.

اصطحبها "چين" في حنان إلى السيارة.

سألها مرحاً:

- إلى أين تريدين الذهاب؟ كيف ستحتفلين بنصرك؟

- من باب الشفقة علي لا تثقلني بالأسئلة؛ لأني مللت منها اليوم. غاية ما في الأمر أريد أن أكون معك في أي مكان خلاف هذه المنطقة.

أدار "چين" المحرك وبسرعة عادا إلى جزيرة "بالبوا" وتوقفت الـ"BMW" أمام منزله.

- كنت قد وضعت زجاجة عصير البرتقال في الثلاجة. ما رأيك؟

- إني أعشقه. فتح "چين" الباب وأدخلها، وعندما تواجدا في ضوء المدخل الخافت تحت المصباح الفاخر، التفت "چين" نحوها، ولاطف وجنتها.

قال:

- لقد افتقدتك طويلاً خلال هذين اليومين.

إني أحبك يا "تانيا". ماذا أقول؟ يا دكتورة "زيدزياك".

ضحكت الفتاة عندما سمعت لقبها. أمسكت بيد الشاب، وطبعت قبلة رقيقة على كفه بينما كانت الدموع تملأ عينيها.

- أنا أيضاً افتقدتك. إني أحبك يا "چين". وبدونك ما كان في إمكاني الحياة، لولا وجودك معي هنا في الصباح.

سألته "تانيا":

- لكن أين الخدم الذين قد كلمتني عنهم في اليوم الأول؟

قال مازحاً:

- لماذا تسالينني هذا السؤال؟ هل تقتبسين معلومات بغية القيام

بسرقة؟

لم يكف "چين" عن ملاطفتها.

قالت بنبرة عتاب:

- أسئلة مرة أخرى. أعتقد أني قلت لك: إني لم أعد أحتملها.

- على كل حال إني على علم بمكان الأشياء الثمينة.

ابتسم:

- حقاً. إنك تعلمين أن ما امتلكه فهو ملك لك. أليس كذلك؟

استطردت الفتاة بعد فترة صمت:

- أعتقد أني وجدت فكرة الاحتفال بنجاحي. إني أريد صواريخ.

- يالها من فكرة رائعة ! إن رغباتك أوامر يا آنستي العزيزة. ولحسن الحظ أننا بمفردنا في هذا المنزل.

- إنها فرصة في الواقع. أتتذكر أني لم أعد إلى هنا لأننا كنا منهمكين في مراجعة رسالتي إلى درجة أنه لم يكن لدينا الوقت.

رفع "چين" "تانيا" بين ذراعيه، وحملها حتى الطابق الثاني نحو حجرة واسعة تطل على سفينة "الفكر الحر". كانت حجرة طفل بها سرير صغير و "كومودينو" ورفوف مليئة باللعب.

- هل كنت تقيم هنا في طفولتك؟

- نعم. إنه هنا حيث كنت أحلم بتمثيل دور "دكتور". والآن وقد أصبحت أمتلك واحدا خاصا بي ليست لدي نية حرماني منه.

- هل هذا هو النموذج الذي دفعك إلى مساعدتي في الاستعداد للامتحانات؟

- بالتأكيد.

- إنك ساحر يا "چين". لم أشعر بمثل هذه الأحاسيس قبل أن أعرفك، ولا تذوقت مثل هذه السعادة.

أجابها:

- إني لست سوى عبد فقير.

أكاد أجن من رقتك وسحرك. أتحبيني؟

- "چين" يا حبي إني أحبك.

كانت "تانيا" قد تمنت صواريخ فكانت أمامها باقات من الأنوار المتعددة الألوان.

أما "چين" و "تانيا" فكانا مثل غريقين أخرجتهما أمواج القدر على شاطئ الحب الإعجازي.

تمتمت الفتاة:

- كم أحبك يا "چين".

أجابها:

- إنك حياتي وكل كياني يا حبي. إني عاجز عن الحصول على الكلمات التي تعبر عن مدى تأثيرك عليّ.

- أعلم ذلك يا عزيزي، وإني أبادلك نفس الشعور منذ اللحظة الأولى.

كان وجوده بالقرب منها قد كشف لها بكل دقة أن مستقبلهما بدا هزيلاً وغير مؤكد.

تذكرت فجأة أن بينهما العديد من المشاكل في حاجة إلى حل. كما تذكرت أن لجنة التحكيم أعلنت حصولها على الدكتوراه، وأنها لم تخبره بذلك حتى الآن.

وعندما تطلعت إليه وجدت وجهه مستنيراً بابتسامة مشرقة.

قال مهدداً:

- إياك أن تكفي عن حبي. أعتقد أني لا أستطيع الحياة بدونك.

قالت وهي تستند إلى مرفقها:

- وخاصة لا تقل لي: إن فكرة تبادل الأفكار غير قائمة، لأنه-بالضبط سارد عليك- كلمة بكلمة.

قطب "چين" حاجبيه. ثم استطرد:

- لا يوجد ست وثلاثون طريقة لإعلان الحب.

لا شأن لتبادل الأفكار في ذلك.

أجابته "تانيا":

- وأنا لا يضايقني أن يكون في إمكانك معرفة ما يدور بذهني. أحب أيضاً أن تكون قادراً على معرفة كم أعاني من آلام عندما تكون بعيداً عني كما حدث لي هذا الصباح.

إن هذا الاتصال يبدو مهماً لي. لهذا ساعلم أنا أيضاً مقدار حبك لي ورغبتك في.

ظل "چين" صامتاً وهويتفحص الغرفة من حولهما واضعاً ذراعه حول عنق الفتاة.

- لقد أحببت دائماً هذه الحجرة من أجل ذلك اصطحبتك إلى هنا. إني أريد أن تشاركيني كل شيء.

- إنه بالضبط ما كنت أبغي قوله.

- لا على الإطلاق. إنك بذلك تروجين لتعاليم السيدة "دولور". أرأيت ؟ لقد كنت سعيداً مع أجدادي لكن في نفس الوقت ما كانت تقوم به والدتي كان يؤسفني.

لا تطالبيني يا"تانيا" أن أعتقد في هذه الأمور. إنه بالنسبة لي الاعتقاد في عرافة ليس ضاراً فحسب بل خطيراً.

لقد حصلت على الطمانينة عندما علمت أنك قد تخليت عن كل ذلك.

قالت:

- "چين" يجب أن تعرف شيئاً .....

مع ذلك ظلت كلماتها معلقة. "چين" لم يكن مستعداً لسماع الحقيقة.

ولما لمحت أنه يوجه إليها نظرة استجواب،

استطردت:

- إنه ليس ذا أهمية.

ثم قبلته بحنان وهي تتمنى أن تتم المعجزة، وتحل مشاكلهما.

سألها "چين":

- أتذكرين أنك قبل سماع حكم اللجنة قلت لي: إننا سنرحل معا لمتابعة الحيتان.

كم سيكون ممتعاً. أليس كذلك؟

حكت "تانيا" رأسها وهي تنظر إلى الحجرة التي كان "چين" قد قضى فيها أطول فترة من طفولته. كانت الجدران مزينة بصور حيتان وسفن كما أنها لاحظت مجموعة قواقع "ومحاراً" على "الكومودينو"، حتى الأثاث كان يشير إلى الباخرة. وكم دهشت عندما لاحظت أن النافذة عبارة عن نافذة سفينة.

- لقد أحببت البحر دائماً يا "چين". أليس كذلك؟

اكتفى "چين" بالنظر حوله وهو يتنهد.

أكملت:

- "چين". كيف يستطيع خبير في عالم الأحياء المائية أن يحول اهتمامه إلى سمسرة البورصة؟

وضح لها:

- إن جدي بدأ تعليمي الشؤون المالية منذ أن بلغت سن الإدراك لكن عندما رأى أني غير مهتم بهذا الأمر خاب ظنه لكن لا تخشي شيئاً. اطمئني. إن الإيداع، والاستثمار لا يشكلان سراً بالنسبة لي.

- لكني لا أقصد ذلك. إني أجد في ترك المهنة التي تحبها جريمة فلا تقم بتنفيذ ذلك يا "چين"؛ لأنه قد يسبب لك التعاسة.

ابتسم بمرارة:

- وساكون أكثر تعاسة إذا اضطررت لفقدك بسبب أسفاري الكثيرة. يجب أن أعترف لك أني في إحدى اللحظات تمنيت أن ترسبي حتى نستطيع السفر معاً.

نظرت إليه "تانيا" نظرة إشفاق باحثة في داخلها عن حل يرضي كليهما.

قالت:

- أنا أحب "الفكر الحر" بقدر ما تحبه أنت يا "چين"، وكنت أتمنى الرحيل معك.

- لكن الآن وقد أصبحت "دكتورة" أمامك أبواب كثيرة في إمكانك أن تطرقيها.

- آه. حقاً لقد نسيت أنك سبق أن وعدتني بزجاجة عصير.

- أعتقد أني نسيت أنا أيضاً.

- الآن. إني أتساءل: كيف حدث ذلك؟

نهض "چين" وهو يضحك بعد أن ساعدها على القيام، ثم أخذها بين ذراعيه.

- إن البعثة التي أكونها ستكون الأخيرة بالنسبة لي. ما رأيك في الاشتراك معي فيها قبل أن تستقري؟ ..... سوف تكون بالنسبة لنا رحلة زفاف إذا تزوجنا قبل موعدها.

- لقد مرت أحداث كثيرة اليوم. فلا تطالبني بأي إجابة يا "چين".

- سأحضر اليخت غداً إلى "لاچولا". أمامك وقت للتفكير.

وعندما ذهب لإحضار العصير شعرت "تانيا" بعينيها تمتلئان بالدموع.

عند عودتها إلى منزلها عادت "تانيا" إلى رسالتها: والدي العزيز ووالدتي العزيزة.

لقد نجحت. وحصلت على الدكتوراة. أمامي الآن عرض شيق جداً، لكني أخشى عواقبه في حالة قبولي له. ربما أترك فيه قلبي وقلب "چين".....

الفصل الحادي عشر

في صباح اليوم التالي وقفت "تانيا" تراقب "الفكر الحر" من خلال نظارتها المكبرة. كان "چين" على ظهرها مع رفاقه، يعملون باجتهاد منذ شروق الشمس.

تخيلت الفتاة ذلك اليوم الأول الذى رأت فيه "چين" ذلك المشهد الذي قلب حياتها.

ثم أضاءت وجهها ابتسامة ماكرة عندما رأت -من جديد- حذاء الرياضة الذي كان يضعه ثم بدأت ترفع نظارتها لترى ساقيه ثم كل قوامه الفارع.

وأخيراً عندما بدا الوجه من خلال المنظار لاحظت "تانيا" انه يضحك كانت اسنانه الناصعة البياض تلمع في ضوء الشمس، والريح تداعب خصلات شعره.

في اللحظة التي كانت السفينة موشكة على الخروج من الميناء،

تلاشت ابتسامة "چين".

استند إلى الصارى، ووقف ينظر إلى "لوس انجيلوس" التي كانت ترسم وسط ضباب الساحل، رمز الحياة المنتظمة التي كان قد قرر أن يمارسها من الآن فصاعداً.

ثم أدار رأسه نحو جزيرة "باليوا" وخاصة نحو زاويتها حيث كانت تسكن "تانيا".

لا إرادياً أظهر "چين" ابتسامة تعبر عن السعادة.

وعندما ابتعد عن الميناء، دخل الكبينة الخاصة بالقيادة لكي يعود إلى الخروج منها ثانية ومعه نظارته. صوبها على شرفة "تانيا" وقد تحولت ابتسامته إلى ضحك عندما اكتشفها فيها.

ثم تفوه حينئذ باجمل كلمات في العالم: "أحبك". لمحت الفتاة رسالته، وردت عليه بمثلها في الحال. كان الريح يحمل أمانيهما الرقيقة إلى سماء الصباح، والتي كان يحرسها تحليق النوارس.

شعرت "تانيا" بالدموع تملأ عينيها.

اضطربت الرؤية أمامها، لكنها لم تترك نظارتها: إذ كانت لا تريد قطع هذه الصلة بينهما، واختفى "الفكر الحر" بعد لحظات.

تركت "تانيا" المنظار يسقط حول عنقها، مسحت عينيها بطرف الـ "تي شيرت" ثم عادت بخطى ثقيلة إلى مسكنها. جلست على الأريكة وفي الحال أسرع "ين" و "يانج" إلى لقائها متعطشين إلى ملاطفتها.

تنهدت الفتاة بعمق، ووضعت نظارتها على المنضدة المنخفضة، ومكثت فترة طويلة ملاطفة قطيها بدون انتباه. كان "چين" وحده يسكن فكرها. كانت تراه ضاحكاً، منتظراً بفارغ الصبر حيتانه القاتلة؛ لمراقبة عاداتها.

أخذت "تانيا" "يانج" وأغرقت نظراتها في عينيه الذهبيتين.

سألت بصوت عال بينما الدموع تتساقط على وجنتيها:

- إلى متى سيظل يكرهني لأني امنعه من ممارسة الحياة التي يحبها؟

###

عاد "چين" إلى "بالبوا" قبل تسليم "الدكتوراه" إلى "تانيا" رسمياً، بيومين. كانت الشمس قد لفحت جلده، كما انه قد حصل على الاسترخاء، فكان يبدو كعادته مرحاً.

كما أن سحره كان بادياً في زي البحار الذي كان يرتديه، ومن المعروف انه دائماً مكون من اللونين الابيض، والأزرق.

- قاربنا بلوغ النهاية يا "تانيا". ما هما إلا يومان، وتتفرغين تماماً. وحتى الآن لم تخبريني بقرارك. يجب أن تاتي معي في هذه البعثة الاخيرة. إنه نعم. اليس كذلك؟

- لا أرغب في أن تكون رحلتك الاخيرة يا "چين". لا بد من إيجاد وسيلة للحياة. بطريقة أخرى إيجاد حل قادر على إرضاء كلينا . إني أرفض فكرة تخليك عن حياة تعشقها لكي تدفن نفسك في مكتب.

هز "چين" رأسه بشدة، وفجاة تعتمت نظرته.

ثم قال مؤكداً:

- لا فرق في نظري بين المجالين مادمنا سنكون معاً. لن يكون ذلك إلا لبضع ساعات كل يوم. أما الآن فإني متمسك بأن نتزوج، ومن ثم فإني متقبل تحمل نتائج هذا الوضع.

- لكننا لا نستطيع الزواج دون أن تكون عندك فكرة رفض أسفارك.

كثيرون يعتادون هذه الحياة . ماعدا التجار المسافرين. انا لا أريد القيام بدور السجان.

- لكني أريد أن أكون سجين ذراعيك، وأسير قلبك.

- لكني أرفض القيام بهذا الدور . لماذا لا تستمر في هذا العمل فترة أخرى؟

- بهذا لن تستمر حياتنا. لقد علمت ذلك عن خبرة. صدقيني. إن الابتعاد لن يدعم حبنا. ومع ذلك لا فائدة من الجدال. لقد اتخذت قراري. والآن أعود إلى سؤالي: هل ستاتين معي في هذه الرحلة؟ ومتى سيكون في إمكاننا الزواج؟

ابتلعت "تانيا" لعابها بصعوبة. لقد حانت اللحظة لاستعادة حريته، وإيجاد الفرصة والشجاعة لتحطم قلبه.

استطرد "چين":

- هل بلعت لسانك؟ لم تجيبي حتى الآن يا غجريتي الجميلة.

من فرط تاثرها احاطت الفتاة عنق "چين" بذراعيها لكن بعد لحظة القى "چين" إليها نظرة قلقة. قال:

- أشعر أن شيئاً ما يضايقك يا "تانيا". ماذا يحدث؟

تنفست "تانيا" بعمق، وكان قلبها يخفق بسرعة . ثم جمعت كل قواها.

- أحبك يا "چين" وانت تعلم ذلك جيداً. اليس كذلك؟

- لماذا توجهين لي هذا السؤال؟ وفي استطاعتي إدراك هذا كل مرة تلمسيني فيها.

- لأني أريد أن تتاكد منه، وأن تتمكن من إدراك لماذا لا أريد الذهاب معك على ظهر السفينة، ولماذا لا أستطيع أن أتزوجك.

كانت كل كلمة تنطق بها بمثابة طعنة سكين في القلب، غير انها لا تستطيع حرمانه من حريته: ليس لها الحق في هذا الواقع.

بدا "چين" كانه صعق. كما انه كان لا يظهر بمظهر من فهم قصدها، فكان ينظر إليها حائراً.

- لكن في النهاية يا "تانيا". لماذا لا نستطيع أن نتزوج؟

كادت تصيح:

- لأني أحبك كثيراً جداً، حتى أعمل لك شيئاً مماثلاً.

قال:

- هذا ما أستطيع وصفه بانه تعليل منطقي.

لا تستطيعين أن تتزوجيني لأنك تحبينني كثيراً جداً! لكن ما هدف ذلك؟ ومن أين تخرج هذه الفكرة الغبية؟

- لقد لاحظت كم كنت سعيداً عند رحيلك، وانت تتامل المحيط، وسرعان ما تلاشت هذه السعادة عندما التفت إلى اليابسة.

- ربما أنك تعرفين أحاسيسي أكثر مني.

- ليس أكثر، ولا أفضل لكن بنفس القدر وأنت تعلم ذلك، وأنا لا اريد أن تتخلى عن حياتك من أجلي.

قال بعصبية:

- وباي حق؟ إن قراراتي لي وحدي.

- بالتاكيد. لكني لا أريد تحمل أقل مسؤولية او إدانة في اختيار قد يتعسك.

- لكن لماذا أصبح تعيساً؟ إني أحبك يا "تانيا"، واريد أن أكون بالقرب منك إذا كنت متمسكة إلى هذا الحد بتحقيق سعادتي برفضك حبي، لماذا لا تطلقين رصاصة علي في رأسي؟

استطردت الفتاة بعد فترة صمت:

- أتستطيع يا "چين" -بكل أمانة- أن تخبرني أن فكرة هذه الرحلة الأخيرة، تسعدك؟

حاول إذن أن تكذب بينما المسك.

أبعد "چين". بحركة حادة-اليد التي استقرت على ذراعه. نظر إلى الأرض، وتنهد في أسى.

- لقد اخترتك انت يا "تانيا". واحبك. أحبك أكثر من كل الحيتان، في كل المحيطات الموجودة في العالم.

بالرغم من أنها لم تلمسه، تاكدت "تانيا" من أن هذا الاختيار كان مؤلماً

بالنسبة له، وتاكدت أيضاً من أنه يعمل من أجل صالحها.

- إني ارفض الاشتراك في هذا القرار مهما كان القدر الذي أشترك فيه ضئيلاً. إذا كنت تختار التخلي عن المحيط من أجل أن تحيا حياة محدودة، فاعلم أنك ستحياها بدوني يا "چين".

تمتم مجروحاً:

- كنت أعتقد أنك تحبينني.

- بالتاكيد. لقد أرغمك الناس طول حياتك على القيام باعمال لا تحبها: والدتك كانت تتمنى أن تراك راقصاً، جدك أراد أن يجعل منك رجل أعمال، وزوجتك تتمنى أن تجدك رجلاً ثرياً. اما انا فإني اريدك أنت بذاتك، ولن تكون انت إذا ما قمت برفض سفينتك، والتخلي عنها.

- لكن الا تستطيعين إدراك أن حبك على رأس كل ما أحب، وفوق كل شيء؟

- وهذا لن يدوم. في النهاية ستتحامل علي، ستكرهني ذات يوم. وعن نفسي انا لا أستطيع احتمال ذلك. ليتك تجرؤ على الاعتراف بانها ليست الحقيقة.

في النهاية اعترف "چين":

- كنت أود لو اني استطعت الصياح بانك مخطئة، لكني اخشى أن تكوني على حق.

صمت رهيب أحاط بهما.

استطرد "چين" في هدوء:

- الآن وقد حصلت على "الدكتوراه"، في إمكانك الحياة معي على الباخرة. تعالي معي يا "تانيا". كوني لي ومعي.

خيم عليهما الصمت بعد ذلك. كان كل جزء من جسم "تانيا" يهمس لها أن تقول: "نعم" وكانت تتخيل أن في إمكانها سماع خفقان قلبيهما الجريحين يملآن الحجرة.

- إن المحيط ليس مجال عملي يا "چين". إن لي مهنتي الخاصة، ولا أستطيع -ليس أكثر منك- أن أتخلى عنها بهذه السهولة.

قال ملحاً:

- ومن أعلمك أن علم النفس لا يتفق مع أبحاثي؟

- ماذا يمكنني أن أقوم بعمله في هذا المجال؟ تبادل المشاعر مع الحيتان!

حينئذ صاح "چين":

- ربي. متى ستتنازلين عن هذه الخزعبلات؟

- سبق وقلت لك: إنها ليست خزعبلات.

أتتذكر هذا الخبر الذي أشار إليه الأستاذ "مستناج"؟ ها قد وهبني القطاع منحة جديدة. إنهم يريدون أن أتابع أبحاثي في هذا المجال: حتى نتمكن من معالجة مرضى "انفصام الشخصية". هل تعلم أن هؤلاء المرضى يعانون من الانطواء، ولا يتعاملون مع العالم الخارجي؟

- أوه، لا. لكني كنت أعتقد أنك كنت تبغين الاستقرار بفتح مكتب استشاري في الأمراض النفسية.

أجابت الفتاة:

- ساقوم بتنفيذ ذلك أيضاً. إن الأستاذ "مستناج" يرشحني لوظيفة طبيبة نفسية في عيادته. بهذا سوف أتمكن من ممارسة كل شيء، ومتابعة أبحاثي في نفس الوقت

- الآن بدأت أتفهم لماذا لا تريدين الزواج مني، وتفضلين بقائي في المحيط؟ ليس لديك الوقت الكافي لي. لماذا لم تصارحيني قبل الآن بأني أزعجك؟

- إنك عنيف. إذا كنت لم أخبرك بذلك قبل الآن فهذا لأني كنت لا أبغي أن أتسبب لك في المعاناة من أجلي لكن هذا العرض ممتاز، ولا أستطيع رفضه.

وإذا رفضته فسيأتي اليوم الذي ألومك فيه عليه.

انفجر "چين":

- لا تريدين التسبب لي في المعاناة، والألم في الوقت الذي تختارين فيه أن تصبحي بالتحديد النموذج الذي أنفر منه.

انتحبت "تانيا":

- أصبحت المناقشة مستحيلة. إن كلاً منا يعيش في عالم بعيد عن الآخر. إن زواجنا مستحيل.

اتجهت بصعوبة ناحية الباب الذي فتحته.

- ليس لدينا ما نقوله لبعض بعد الآن. قال "چين" وهو ينظر إليها:

- إذا تركتني أرحل يا "تانيا" فسينتهي كل شيء، ولن أعود بعد.

رفعت الفتاة يدها إلى فمها لكي تكتم نحيباً آخر.

قال متوسلاً:

- "تانيا"، يا غجريتي.....

لكن عندما شعر "چين" بدوره الدموع تملأ عينيه، اجتاز الحجرة بخطى واسعة، ونزل جرياً على السلالم.

ألقت "تانيا" بنفسها على الأريكة، وقد تملكها اليأس في أقصى درجاته، بينما القطان اللذان بقيا مختفيين أثناء المشاجرة عادا للقائها.

وفي صباح اليوم التالي، عندما لمحت "تانيا" "الفكر الحر" يختفي في دوران الميناء، شعرت بأن شيئاً ما قد رحل إلى الأبد.

لقد انقضى اليومان التاليان كما في ضباب من موت ودماء. أما عن الاحتفال بتوزيع الشهادات الذي كانت "تانيا" تنتظره وتتمناه طوال ثماني سنوات- كانت قد بدت طويلة جداً-، فكان بالنسبة لها مصدر آلام إضافية.

تلا ذلك حفلة تكريم صغيرة لها.

كانت الفتاة في كل مرة تحاول الابتسام للمهنئين، كانت الدموع تملأ

عينيها. ولما تمكنت من الاختفاء أسرعت به.

كان- أيضاً- التواجد بمفردها في شقتها أمراً يكاد يكون مستحيلاً. كان "چين" حاضراً فيها.

فما كان منها إلا أن توجهت إلى السيدة "دولور" متابطة شهادتها. صاحت السيدة المسنة:

- ادخلي يا عزيزتي. كم انتظرتك.

أجابت "تانيا":

- إنك تعرفيني أكثر مني. أنا لم أكن أعلم أني سوف آتي إلى هنا.

- إن حزنك عظيم حتى إنه يغطي كل الجزيرة، وفي إمكاني متابعة كل تنقلاتك حتى دون أن أركز. إن توزيع الشهادات كان رائعاً.

- إني مسرورة أنك كنت حاضرة.

ابتسمت السيدة "دولور".

استطردت:

- وهو أيضاً كان هناك.

- "چين"؟ هل أنت متأكدة؟

- لقد رأيته بعيني، كان يجلس متقدما عني بثلاثة صفوف.

عندما سمعت "تانيا" تأكيد السيدة، قالت:

- لو كنت رأيته... لماذا لم يأت إلي، ويكلمني؟

في الواقع هذا أفضل. ربما كنت لا أحتمله، وكنت انفجرت في النحيب. ثم بأنات ألم أكملت:

- أوه، كم أفتقده الآن! فقط لو كنت متأكدة من أني أحسنت التصرف.

قالت السيدة "دولور":

- ربما يعود إليك قريباً. لا بد من إيجاد حل.

حينئذ انفجرت "تانيا" في البكاء:

- للأسف لا. لقد قلت له أن يذهب إلى أسفاره، لكن في أعماقي كنت

أتوقع أنه سيرغمني على القيام بما يريد هو. ولسوء الحظ لقد حطمت آخر هدية له: أملي الأخير.

- أي هدية؟

- لقد أعاد السيارة الـ "تويوتا" التي كان قد استأجرها وأعطاني عوضا عنها الـ "BMW" كان قد ألقى برداءه على الكنبة الخلفية. كما أنه ترك على عجلة القيادة كلمة بسيطة: مع أطيب التمنيات للحصول على الشهادة. استفيدي بهذه السيارة، لأن هناك حيث أنا ذاهب لا أستطيع استعمالها. إنها لا تطفو على الماء.

- يالها من هدية!

- أكثر من هدية. إنها أولا: رسالة. أفهم من ذلك أنه رفض الحياة المستقرة، وكذلك الزواج الذي كان من الممكن أن يتفق مع نوع العمل الجديد.

تمتمت العرافة:

- ربما.

قالت الفتاة:

- لقد تسببت له في التعاسة. لكنه كان سيكون أتعس لو كنا تزوجنا. لم يتبق لي إلا رداء داكن اللون الذي أمقته منذ أن رأيته، وسيارة ضخمة فاخرة بالنسبة لي. ربما كان المفروض أن أوافق على الرحيل معه لدراسة الحيتان.

- لماذا إذن قبلت المنحة؟

- لأني مثل "چين"، لن يسعدني تركي لمهنتي.

أمسكت السيدة "دولور" بذقنها، ثم ألقت إلى "تانيا" نظرة ساهمة، وفي الوقت ذاته تعبر عن المودة.

- كم أنتم متسرعون عديمو الصبر أيها الشباب!

تعملون على تمزيق أنفسكم بدلا من أن تتركوا الحياة تأخذ مجراها

وحدها.

قالت الفتاة للسيدة:

- أتوسل إليك أخبريني. ماذا قصدت بترك الحياة تأخذ مجراها؟ هل رأيت شيئاً؟

أجابت السيدة العجوز:

- لا، لم أر شيئاً خاصاً.

اقتنعت "تانيا" حينئذ أنها تعلقت بأمل خاطئ، وهذا سمح لها بفهم "چين" بطريقة أوضح.

- آه، يا سيدتي كم أحبه! لقد منحني سعادة الحياة. الآن وبدونه أنا أحترق من نصفي الآخر لقد نقصت.

وفي هذا المساء عادت "تانيا" إلى مراسلتها:

"والدي الأعزاء. لقد وصلت أخيراً إلى هدفي، وسأتمكن من الآن البدء في التدريب. بهذا لم تذهب تضحياتكما هباء. بالعكس لقد اضطررت إلى قطع صلتي بـ "چين". إن أعمالنا لا تتفق ولم نصل إلى حل أيضاً".

تركت "تانيا" الجملة معلقة... إذ شعرت بأن هناك شيئاً خاطئاً فيما تكتبه. قطبت حاجبيها وأخذت تعيد قراءة الخطاب، ثم انتهت بأن وضعت قلمها، ومزقت الورقة. وضعت بعد ذلك رأسها بين يديها، وبدأت تستعيد بتدقيق مجرى حياتها القصيرة.

###

توجهت "تانيا" يوم الاثنين بعد الظهر إلى عيادة الدكتور "مستناج". قال لها هذا الأخير عندما رآها تدخل مكتبه:

- صباح الخير يا "تانيا". لقد دهشت لرؤيتك هنا! لأني ظننت أنك ستأخذين إجازة قصيرة. إنك تستحقينها بجدارة. لماذا لا تستريحين طوال فترة الصيف؟

كانت "تانيا" على مر السنين تعلمت كيف تعتبر أستاذها صديقاً لها

والا تخفي عنه شيئاً.

- وإلى أين يمكنني الذهاب، وليس معي نقود؟

أجاب ضاحكاً:

- لا داعي للذهاب إلى مكان بعيد. قومي بعمل جولة حول "ديزني لاند". بأي شكل ينبغي أن تسترخي.

انظري إلى نفسك. لقد نحفت، وأصبح وجهك مخيفاً!

قالت الفتاة:

- إنك تأتي بالكلمات التي تتجه مباشرة إلى قلب فتاة.

- إنك دائماً رائعة يا "تانيا"، لكن مرضى هذه العيادة يبدون سعداء أكثر منك، وإذا اتخذتك مساعدة لي الآن، فساتهم بأني أستغلك.

- إني في احتياج إلى العمل حقاً في الحال؛ لأن هذا سيسمح لي بمعالجة مشاكلي.

- دعيني أخمن. إنه ليس المال لأنك لم تهتمي به أبداً. وربما ليست أيضاً مأساة في أسرتك لأنك لا بد أن تكوني قد أخبرتني بها. يبقى احتمال أخير: الحب. ألا ترغبين في الإفصاح لي؟ هل هو الشاب الذي رأيته ذات يوم في الدهليز؟

اعترفت الفتاة:

- نعم. لقد رحل على سفينته لدراسة الحيتان.

- ولمَ لم تذهبي معه؟ كنت ستقضين إجازة ممتعة.

- لم نتمكن من الاتفاق.

- إنك تعملين كثيراً، ولا تجدين الوقت اللازم له. أليس كذلك؟

دافعت الفتاة:

- إن الأمر أكثر تعقيداً. من جانب آخر إنك تعلم جيداً لماذا هو يعمل؟

- على ما أرى إنك تحملين والديك المسؤولية

- ماذا تقصد؟

استطرد الأستاذ "مستناج":

- إن والديك أرسلاك إلى هذا البلد حتى تجدي فيه الحرية. وعوض هذا ماذا تعملين؟ إنك تتفانين في العمل. إنك تخلقين لنفسك متاعب لم يعرفها والدك- بلا شك- خلال السنوات التي قضاها في السجن.

أخيراً اعترفت الفتاة:

- أخشى أن تكون على حق. لقد تحققت من ذلك وأنا أكتب لهما هذا المساء. حقاً إنهما لا يريدان لي أن أصبح آلة.

- إنهما يتمنيان لك حرية الحب، والفكر.

انتفضت "تانيا" عند سماع هذه الكلمات. وخلال ثانية، رأت "چين" واقفاً أمامها مبتسماً على ظهر سفينته.

- اسمعني يا أستاذي. إني فعلاً مهتمة، ومسرورة، ومتحمسة لأبحاثنا، وإني أحترمك من أعماقي.

- أكملي يا "تانيا".

- يجب أن أفصح أني بدأت في الندم على قبول منحة القسم. حقاً إنها تسرني. لكنها أيضاً لها دور كبير في قطع صلتي بـ ....

عجزت الفتاة عن إتمام جملتها واضطرت إلى العض على شفتيها حتى توقف ارتجافهما.

- هل هو الآن على سفينته؟

- قد يكون غباء مني أن أقدم لك هذا الاقتراح لأني في أمس الحاجة إليك هنا، لكن لماذا لا تقيمين هناك؟ إني واثق أنهم في احتياج إلى نفسانيين في "لاچولا".

- لكني لا أحتمل التخلي عن متابعة أبحاثي.

تمتمت الفتاة بهذه الكلمات وهي تلقي بنفسها على أحد المقاعد.

- ومع ذلك. أتظن أنه من الممكن القيام بإنشاء اتصال بتبادل المشاعر مع الحيتان؟

أجاب الأستاذ مفكراً:

- يالها من فكرة عجيبة! غير أنه من الأفضل لي ألا أفكر فيها. عندي ما يكفيني مع مرضاي. لكن ماذا تنوين القيام بعمله بالضبط؟ أترغبين في الزواج؟

- ينبغي أولاً أن ألتقي بـ "چين" في "لاچولا" لكني لست واثقة من أنه مازال متمسكاً بي.

أخيراً اقترح الرجل المسن:

- سنعقد اتفاقاً. اعملي من أجلي عند السيدة "دولور" خلال هذا الصيف في انتظار عودة بحارك الشاب، وسنؤجل البدء في العمل في أبحاثنا عن الانفصام حتى ذلك الحين. موافقة؟

حينئذ صاحت الفتاة وعيناها مليئتان بالدموع:

- أنا لا أعرف كيف أشكرك. إني عاجزة عن الحصول على الكلمات المناسبة لذلك.

- بأن تكوني سعيدة يا ابنتي.

ترى هل سيغفر لها "چين" ما ألحقت به من ألم؟

وهل سيعود إليها؟ كان ينبغي أن تهبه "تانيا" كل شيء. إنه يستحق تضحيات العالم كله.

الفصل الثاني عشر

مرت ثلاثة اسابيع طويلة. اسابيع مريرة كلها آلام، وندم. كانت "تانيا" تنتظر بفارغ الصبر عودة "چين" دون ان تكون متاكدة من عودته إلى الجزيرة مع الانتهاء من رحلته.

مع ذلك مازال منزله قائماً: الأمر الذي كان يعطيها أملاً في عودته.

وذات يوم جميل، بينما كانت تضع ملابس الغجرية لتتوجه إلى السيدة "دولور"، اطلقت صرخة وهي تنظر إلى الخليج. اسرعت باخذ نظارتها، واتجهت إلى الشرفة.

تسببت الريح الغريبة في التصاق جيبتها الحمراء الطويلة على ساقيها وإلقاء كمية كثيفة من شعرها على كتفيها. عندما استندت إلى الدرابزين لكي تصوب آلتها على "الفكر الحر" كان مهيباً في طلعته، ناصعاً في بياضه وهو يتهادى نحو الميناء، وكانه يطير فوق الأمواج.

مسحت الفتاة بمنظارها الميناء باكمله، ثم استقرت على "چين". كان

يرتدي شورتا وقميصا مقلما من لوني الأزرق والأبيض، وذراعه ملتفة حول الصاري. كان يبدو أكبر واقوى، واكثر سحراً من ذي قبل.

التقطت "تانيا" انفاسها بينما كان الأسى يجعل ضلوعها تضغط على قلبها المسكين.

ولو كان غير راغب فيها؟! كان كل كيانها مشتاقاً إلى دفء ذراعيه، لكن هل سيمنحها لهابعد الألم الذي تسببت له فيه؟ هل سيترك لها فرصة الدفاع عن نفسها، وإقناعه بانه يعتبر اغلى من كل شيء لها في الحياة؟

وقفت "تانيا" تفحص وجهه. كانت ملامحه التي التفحت من تاثير الشمس تبدو جافة. وكان جبينه مقطباً، ولا وجود للابتسام على شفتيه. وعندما أطالت النظر إلى عينيه صدمت لاكتشاف نظرتهما الحزينة.

أدار رأسه في اتجاه الشرفة التي تقف فيها "تانيا". قطب حاجبيه، بدا متردداً ثم انصرف مسرعاً إلى مركز القيادة. خرج منه في الحال، وصوب منظاره تجاه الفتاة.

فجاة القى بنظارته عبر الكوبري جرياً،وامتطى الحاجز وفي الثانية التالية كان يغطس برشاقة وسط الأمواج.

فتحت الفتاة فمها إلى نصفه، وصوبت عينيها نحوه فراته وهو يسبح متجهاً نحوها.

كان يتقدم بسرعة ضارباً الماء بحماس مما جعلها تخاف. إلى أي مدى تبلغ قوة غضبه؟

ما العمل الذي كان يعتزم القيام به؟

شيء واحد مؤكد: انه كان يسعى لرؤيتها.

ربما يترك لها فرصة لتوضيح موقفها، والتفاهم.

خلال بضع دقائق كان قد اقترب منها إلى درجة جعلت الفتاة تشعر انه سيخرج من نظارتها.

تركتها تسقط على صدرها، ونظرت إليه وقلبها يخفق، وهو يقترب من الشاطئ.

وعندما وضع قدميه، انتصب فجاة مثل "إله" يصعد من الماء. التصقت ثيابه على جسمه إذ ابتلت. القى وقتئذ إلى "تانيا" نظرة ثائرة، ثم سار بخطوات واسعة على الشاطئ . وما إن وصل إلى أسفل الشرفة حتى وضع يديه فى وسطه وصاح:

- انزلي حالاً يا "تانيا". سنعمل على تسوية الأمور للمرة الأخيرة.

الآن أصبح شيئاً مؤكداً الا وهو انه لا يسعى إلى تجنبها. انحنت الفتاة من فوق الدرابزين وسط رنة أساور، وقلائد، واغرقت عينيها في عينيه.

سألته:

- ماذا تريد القيام بتنظيمه معي؟

- كل شيء. أريد أن اتزوجك يا "تانيا زيدزياك" مهما كانت طريقة حياة كل منا. إن لم تات حالاً فسوف أعود إلى سفينتي ، واجعلها تستقر في صالونك.

ظنت "تانيا" أن قلبها سينفجر من فرط السرور. أجابته:

- سيكون امراً عجيباً. لا تتحرك سنتيمترا واحداً ساكون عندك خلال ثانية.

عادت "تانيا" باقصى سرعة إلى شقتها، ولم تمكث فيها إلا اللحظة التي قالت فيها لقطيها:

- ماذا تريدان؟ إنها القسمة، إنه النصيب. كانت "تانيا" تلهث عندما وصلت أمامه:

- "چين".

- ولا كلمة.

أمسك بمعصمها، واقتادها بطول الشاطئ.

كان السباحون ينظرون إليهما بفضول بينما كانا يسيران في اتجاه مواز للسفينة نحو الجسر العائم.

- "چين"، لقد قررت أن ....

- اصمتي لا تقولي شيئاً. لقد تكلمت كثيراً في المرة الماضية، ولم اكن على استعداد وقتئذ. أطاعته "تانيا" وقد كانت مسرورة لقبضة أصابعه على معصمها. وصلا إلى الجسر العائم في الوقت الذي كان الطاقم يقوم بإرساء اليخت. وكانت اقدامهما ترن على الأخشاب البالية.

امرهم "چين":

- هلم خارجاً وبسرعة. ساكون على البحر، وبمفردي.

تسمر الرجال الثلاثة الواقفون على الكوبري، وهم ينظرون إلى "چين" كانه قد أصبح مجنوناً وعندما رآهم لا يتحركون قال لهم:

- هيا اتركوا المكان.

أخيراً نفذ الشبان الثلاثة أوامره.

أما "تانيا"، فعملت على طمانتهم بابتسامة، عندما كان "چين" يقودها على ظهر اليخت.

توقف "چين" امام كبينة القيادة، ثم استطرد بنبرة جادة:

- "اندي" اخرج من هنا حالاً امسك. خذ مفاتيحي، واذهبوا، وامكثوا في شقتي.

عندما انفردا قالت "تانيا":

- كنت أريد....

- اهدئي، اجلسي. سنتكلم عندما نكون خارج الميناء .

لماذا لا ينتظران حتى يكونا بمفردهما، ولا ياتي من يزعجهما، وهما بمفردهما على المحيط؟

جلست الفتاة واخذت تتامل "چين". كانت تقاوم رغبتها في وضع أصابعها في شعره النازل على عنقه البرنزي.

أخرج "چين" السفينة باقصى سرعة، وبمرونة، وسط مراكب الصيادين التي كانت تدخل إلى الميناء. ثم بدأ "چين" يقود بعنف مثيراً من حوله دوامات أمواج ضخمة.

لم تشعر "تانيا" بالضيق بل كانت تجد في هذه الحركات انسجاماً مع دقات قلبها.

اتجه "چين" ناحية الجنوب. بعد قليل بدت جزيرة "كاتالينا" في الأفق شامخة على المحيط الأزرق.

وعندما أوقف- أخيراً- المحرك، كان لا يسمع إلا صرخات "النوارس"، وصوت الأمواج وهي ترتطم بمقدمة السفينة.

سألها:

- إذن؟!

اضطرت "تانيا" إلى كتم ضحكة مصدرها السعادة النقية الصافية إذ كانت تعلم انه لن يتقبل مرحها في هذه اللحظة.

قال ملحاً :

- ليس لديك ما تتكلمين به ؟

ذكرته:

- لقد أشرت لي بالسكوت.

استطرد محرجاً:

- اقصد... لم أكن اقصد ذلك. كنت لا أسعى إلى فرض أوامري، وكنت حريصاً على منحك فرصة الكلام

ابتسمت:

- لقد كنت ممتازاً.

تظاهر "چين" بالخجل ثم استطرد:

- عندي الكثير من الأمور أريد أن اناقشها معك على هذا اليخت. أتريدين الإصغاء إلي؟

تمتمت:

- إلى الأبد. وانا أيضاً عندي اشياء أريد إحاطتك علماً بها. لقد قررت أن ....

- لقد تكلمت في المرة الماضية. واليوم جاء دوري. أولاً: اقدم لك اعتذاري، واطلب منك العفو.

فتحت "تانيا" عينيها واسعتين من فرط دهشتها.

- لكن لماذا؟ إنك لم تخطئ! إنه أنا التي.....

- اصمتي! بعد أن كلمتني في هذا اليوم، تحققت من أنك على صواب. ليس من فهم ما أحبه حقاً غيرك. كل الذين كانوا قبلك لم يفهموني مثلك. كنت لا أعلم كيف أتصرف بينما أنت كنت لا تسعين إلا إلى حبي بطريقة أراها منفرة. أريد أن أعتذر لك لأني لم أفهم أنك كنت تقبليني.

- لكن أنا لا اقبلك يا "چين". إني أحبك من أجل شخصك. إني لم أنجذب للرجال العاديين كنت لا أتركك لأنك رحلت على سفينتك. بالعكس كنت اقضي وقتي في انتظارك.

- إني سعيد لذلك يا "تانيا". لقد كنت على حق عندما قلت: إني لن اشعر بالسعادة بالعمل في مكتب. لدرجة جعلتني اعتقد -ايضاً- اني كنت سأموت من هذا العمل. إني لا أجد قيمته لي بدونك. إني أحبك من كل روحي ياغجريتي.

- انا ايضاً أحبك يا حبي. إننا جزءان مثل كل من الـ "ين" والـ "يانج". نحن لا نستطيع البقاء الواحد دون الآخر.

ابتسم "چين" بحنان:

- متفقان تماماً. عندما أعيد التفكير في هذه الأيام بدونك، على هذا اليخت.

كم عانيت! لكن كيف تستطيعين الاكتفاء بزوج لفترة واحدة؟

- أفضل الحصول عليك لفترة واحدة أو لنصف وقت أفضل من اثني

عشر زوجاً لوقت كامل.

قال مازحاً:

أتودين أن يكون لك اثنا عشر زوجاً. لكن ينبغي أن أبقى جاداً.

- إني منصتة إليك.

- ومن شدة الامي فكرت في شيء ما. أتتذكرين السيدة "دولور"، وزوجها؟

فجاة تسببت حركة عنيفة من السفينة في إلقاء "تانيا" بين ذراعيه.

- نعم أتذكر. لقد قالت: إنه في كل مرة يعود زوجها، كان حبها يبدو أقوى من أول يوم.

ثم مال عليها "چين"، وقبلها فغمرتهما سعادة لا توصف.

ثم اكمل:

- أتتذكرين أول لقاء لنا؟ كنا لا ندري ما سيحدث غير أن كل شيء كان يبدو -فجاة- رائعاً.

تنهدت "تانيا":

- كيف أنساه. إني لا أستطيع نسيانه.

إنه محفور بحروف من ذهب في ذاكرتي.

تخيل انه سيكون هكذا دائماً.... في كل مرة تعود فيها....

كرر "چين":

- تخيل . إن اتحادنا يعتبر نجاحا. الا تعتقدين ذلك؟

- إني متاكدة من ذلك. هل استطيع الكلام الآن؟

قال "چين" مؤكداً:

- وساقدر كل كلمة من كلماتك.

- وحتى لو كان تخيل عودتك لمرات عديدة تبدو رائعة، لقد قررت من جانبي أن ارحل معك. سارفض منحة بحثي.

رفع "چين" راسه بشدة ونظر إليها.

- ماذا تقولين؟

- لقد اخطرت الأستاذ "مستناج".

- لكن لماذا فعلت ذلك؟!

- إنك تعلم السبب جيداً: لأن هذا لا يعجبك.

وكنا سنختلف كثيراً. إني متمسكة بك أكثر من أعمالي. إن آخرين يستطيعون القيام به عوضاً عني. إني أريد البقاء معك.

- لكنها سخافة لأنك لن تتركي عملاً تعشقينه . إذا تخليت عن أبحاثك عن تبادل الأفكار، أو الشعور مع الغير، فليس من مبرر لاستمراري في دراسة الحيتان.

قالت "تانيا":

- هناك فرق كبير. إني أحب اهتمامك في حين أن اهتمامي يضايقك، ولا أريد القيام بعمل أجدك تمقته.

أجاب:

- ليس هذا هو الوضع، وإني معتمد عليك لكي تساعديني في التغلب على مخاوفي، وساشرح لك لماذا اضطررنا للتوقف بضعة أيام في "لاجولا" قبل إعادة السفينة إلى "باليوا"؟

فكان عندي الوقت الكافي لقراءة الصحف، ولقد اكتشفت فيها أنهم وجدوا الطفل المخطوف في منزل على بعد خطوتين من لافتة تشبه من كل أوجهها تلك التي لحقت بي وقتئذ؟ في هذه اللحظة بالضبط تحققت من أني كنت مخطئا ، وأني كنت ضحية أحكامي المسبقة، ويجب أن أسلم أني - نفسي- قد دهشت؛ لأنه لم تكن في ثقة كافية في مواهب السيدة "دولور".

إنه تاثيرخارق للطبيعة. لكني سعيد أن كل شيء قد انتهى بصورة جيدة.

تنهدت "تانيا":

- إني كنت مشفقة على السيدة المسكينة التي كانت قد أخذت الطفل. لا بد أنها كانت محرومة وتتمنى الحصول على واحد. أخيراً ستعالج نفسياً بدلاً من أن تودع سجن النساء.

لقد أتت أم الطفل لكي تشكرنا. لكن التحديد الذي أشرت أنت به هو الذي أفاد.

جلس "چين" على المقعد وفحص الفتاة:

- أتعلمين لماذا أخافتني قصة اللافتة في الحال؟

- لا. لماذا؟

- لأني لم أرها في حياتي. لقد بدا لي فجاة مثل....

- رؤيا.

- شيء من هذا النوع. في الوقت الذي كانت تتكلم فيه السيدة "دولور"، تراءت لي صورة اللافتة. فشعرت أني كنت أعرف أين هي. ومنذ ذلك الحين أيقنت أن العرافة أو التنجيم شيء قائم. كيف تهدفين إلى التخلي عن أبحاثك؟ ألم تجذبك بعد؟

- لا، لكن وجب أن أعترف بأني لست موهوبة إلى هذه الدرجة.

إن الأفكار الوحيدة التي تمكنت من قراءتها هي أفكارك.

ومضت نظرات مكر في عيني "چين"

- إذا ما كنت ستستمرين في دراستك فساعطيك دروساً.

- دروس!

صمتت فترة وجيزة جداً، ثم انتهت بأن انطلقت في الضحك.

قالت فجاة:

- في الواقع، ياسيد "راندال". أتعلم أن لك رائحة السمك؟

أجابها:

- حقاً. إنها حقيقة. قد يفيدنا أخذ حمام.

ما رأيك في أن نسبح قليلاً؟

- هنا . في ماء المحيط. أنا لا أريد الموت من البرد .

قال وهو يدير المحرك:

- إنني أعلم مكاناً ممتازاً يعتبر الأفضل. التفتت "تانيا"، ولمحت جزيرة "كاتالينا" من على بعد ، في الأفق التي كانت تسطع عليها أشعة شمس الغروب. وكلما كانا يقتربان كانت تتكشف لهما رؤية قرية بشاطئها وميناؤها الصغير محتمية في صخرة. وما لبثت رائحة الأعشاب البحرية الهادئة أن وصلت إليهما.

- لست أدري متى ينبغي أن تعودي؟

- مساء غد على الأكثر من أجل القطين.

لكن إذا قبلت السيدة "دولور" احتضانهما حينئذ فسيكون في وسعنا قضاء كل فترة الصيف.

حينئذ صاح "چين":

- كل فترة الصيف إذن لدي فكرة

- إنك لا تخلو من الأفكار. أعلم ذلك.

- ستترين كيف أن هذه الفكرة جديدة بل ممتازة بما أني أرفض الأعمال المائية. فإن جدي سيبيع ممتلكاته. بالتالي سيكون لي نصيب.

وقد يكون مبلغاً ليس بالقليل، ويكون إذن في إمكاننا الذهاب إلى..... بم يدعى المكان الذي يقيم فيه والداك؟

- "فارسوفي" في "پولونيا" لكن....

- ألا تجدين أنه أمر طبيعي أن أرغب في مقابلة حموي؟ ومن ثم يكون قد آن الأوان أن يريا ابنتهما الرائعة .

تمتمت "تانيا":

- "چين".

- هل يجب عليّ أن أنهي كلامي بأنك تقبلين أن تتزوجيني، وأننا سوف نعلن حبنا هناك؟

- "چين". انا.....

- رائع، سنهتم بكل الأوراق فور عودتنا إلى "باليوا".

- اوه "چين"

قال مازحاً:

- اسمعي يا "تانيا" إذا كنت مصرة على التعلق بي هكذا، أشعر أننا لن نجد فرصة للاستحمام. سوف تأتيني أفكار أخرى.

تمتمت الفتاة:

- كم أرغب في معرفتها. ومع كل، هل حقاً وجب أن نذهب للاستحمام؟ إنك لم تدع لي فرصة لإحضار لباس البحر.

- وما المانع من أن تنزلي بملابسك الداخلية؟

لاطفت الفتاة وجنته برقة أجنحة الفراشة.

قالت:

-أحبك منذ البدء ، وحتى النهاية.

- هل تريدين إسعادي بارتدائك ملابس الغجرية يوم زفافنا؟

- إذا ارتديت أنت زي البحار.

- بنطلونا أبيض، "چاكيت" بحريا أزرق وقبعة؟

- لا "شورت"، و"تي شيرت" مقلما. كما أني أتمنى أيضاً أن يتم الزفاف على ظهر السفينة. (قالت هذا وهي تضحك)

- فكرة جيدة جداً. كما أنه وهو الأهم أن يكون لنا "الفكر الحر" في ذلك اليوم.

وضعت "تانيا" وجنتها على صدر "چين" ، وأغلقت عينيها تاركة نفسها تتارجح على دقات ذلك القلب الذي سيكون لها إلى الأبد.

تمت